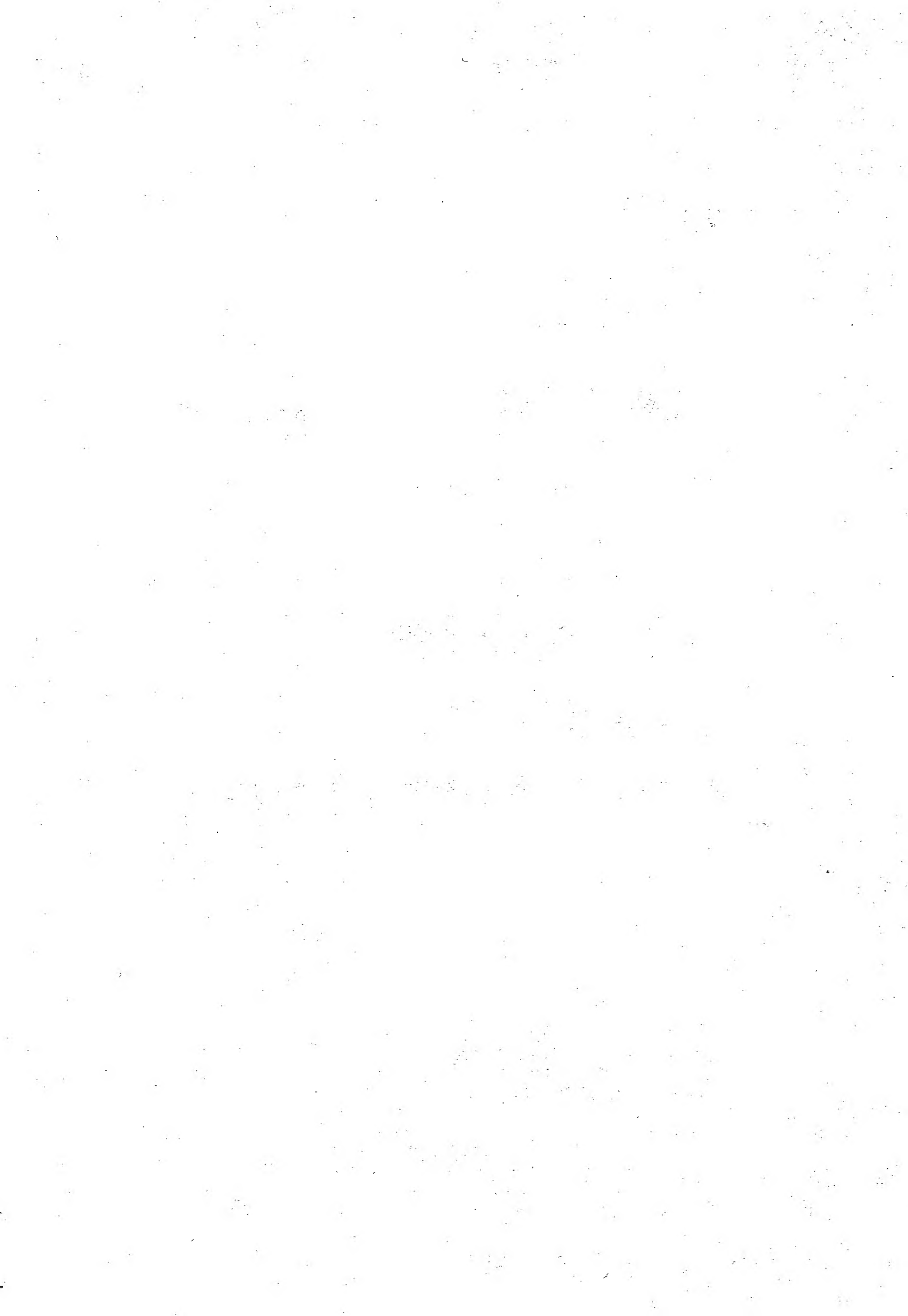

ليلة القدر
دكتور
عبد الباري محمد داود
كلية الآداب جامعة بنها - قسم الفلسفة
دار نهضة الشرق
للطباعة والنشر والتوزيع
٣٢ شارع طلعت حرب - القاهرة

ليلة القدر

الدكتور
عبد الباري محمد داود
كلية الآداب جامعة بنها ـ قسم الفلسفة



الكتـــــــــاب : ليلة القدر

المؤلـــــــــف : د. عبد الباري محمد داود

رقـــم الطبعـــة : الطبعة الأولى

تاريـــخ الإصـــدار : يناير ٢٠٠٢

حقوق الطبع والنشر : محفوظة للناشر

الناشــــــــــر : دار نهضة الشرق

العنـــــــوان : ٣٢ شارع طلعت حرب - القاهرة

تليفـــــــــون : ٥٧٩٥٩٦٠ - ٥٧٥٨٣٨٤

فاكـــــــــس : ٥٧٩٥٩٨٠

رقـــم الإيـــداع : ٩٦٨٨

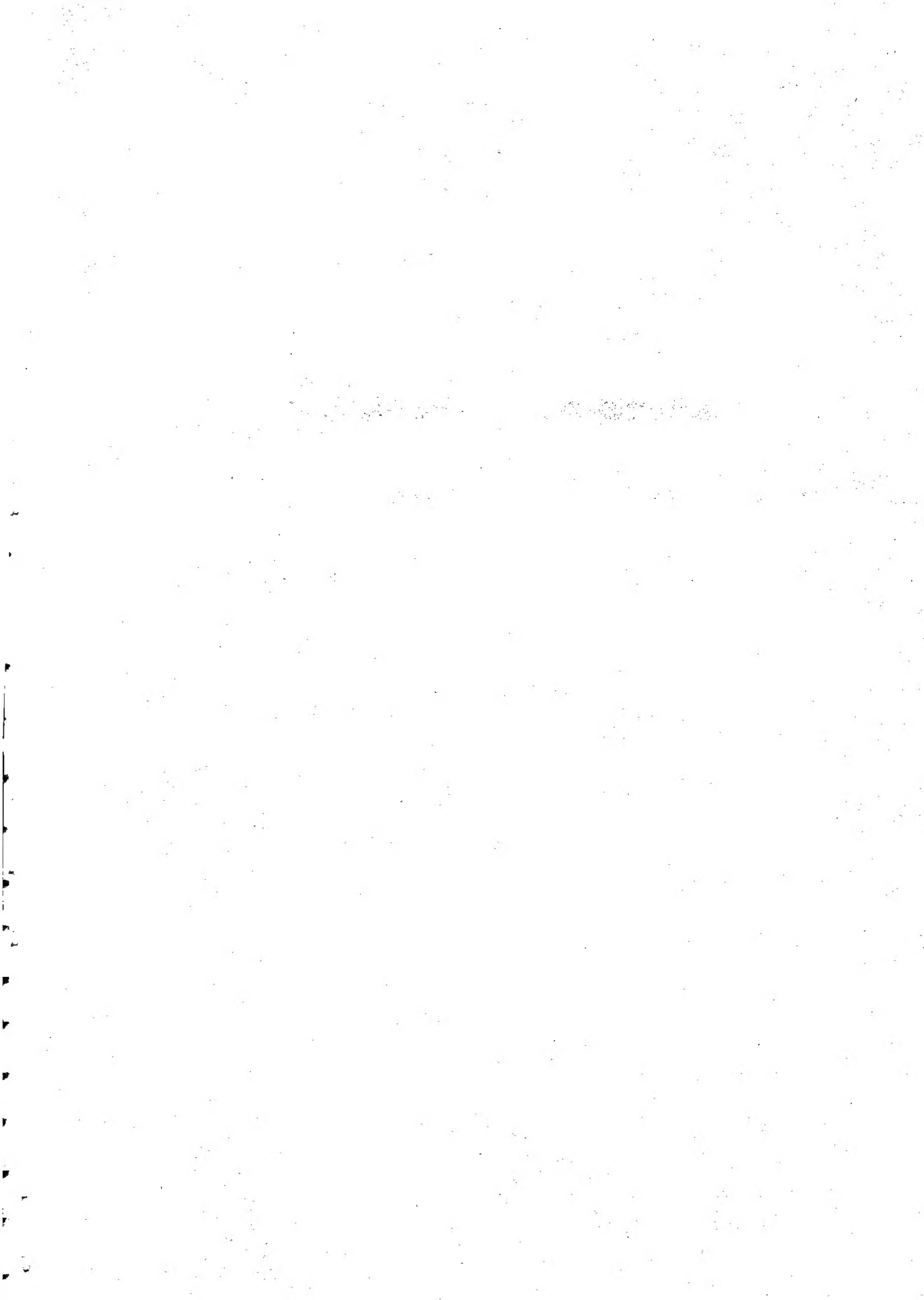
الترقيـــم الدولـــي : I.S.B.N. 977-245-155-7

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾

صدق الله العظيم

سورة القدر ، الآيات: ١ – ٥.



الإهـــــداء

إلى كل المعتكفيـــن في العشـــر الأواخـــر من رمضــــان .

مـــن أجـــل إحيـــاء ليلـــة القـــدر .

أهـــدي إليهـــم ثمـــرة هـــذا البحـــث .

الدكتـــور

عبد البـــــاري

مقدمة عامـــة

الحمد لله الذي أحكم الأمور وقدرها، وقدر الأشياء ودبرها، ودبر الموجودات وصورها، وصور الخليقة وأظهرها، وأظهر الأسرار وطهرها، وطهر القلوب ونورها، ونور الكواكب وسيرها، وسير الأفلاك وسخرها، وسخر الرياح ونشرها، ونشر السحب وأمطرها، وأمطر الرياض وأزهرها، وفضل مواسم الطاعات على سائر الأوقات وللخيرات والبركات يسرها، وشرف شهر رمضان على جميع الشهور وخص لياليه بالفضل المشهور وبتوفير الأجور شهرها وميزها بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وجعلها واسطة عقد الدهر فطوبى لمن عظمها ووقرها يا لها من ليلة ما أبركها وأنورها وما أكثر خيراتها وأغزرها، تفتح فيها أبواب السماء وتنزل الملائكة بالبشارات لمن أحياها من الأنام ومنع جفونه من المنام أسهم. فيافوز من تلذذ فيها بالمناجاة وتملى وتهنى فيها بطاعات مولاه، وتحلى وشاهد أنواره لما تجلى وسجدت له جميع المخلوقات، وقد أذهلها في أنواره وحيرها فيا لها من ليلة ما رفعت إليه فيها قصة محتاج إلا نظرها ولا وصلت إليه دعوة مظلوم إلا أنجزها ونصرها ولا صعدت إليه أنفاس كربة إلا أزال كربها وضرها ولا انتهت إليه شكاية ملهوف إلا أزال عنها الجرح وأتاها بالفرج وبشرها ولا تضرعت بين يديه معتذرة إلا قبلها وعذرها ولا توجهت من أجله قلوب منكسرة إلا أغاثها بلطفه وجبرها. فسبحان من اطلع في هذه الليلة الشريفة على الذنوب فغفرها وعلى العيوب فسترها وعلى القلوب فسكنها وعمرها وعلى حوائج السائلين فقضاها بفضله ويسرها.

شهدت بالقهر له الأفلاك مع الأملاك فسخرها، وأنت بالباب ذوى الحاجات تروم الفضل فيسرها. كما قد رفعت قصصاً وشكت غصصاً للشوق فبشرها، هامت في الليل به الأحباب فحط الحجب وسامرها، ولقد نظرت لما حضرت في حضرتـــه إذا أحضرها كاساً يملى وسناً يجلى لقلـــوب القوم فأسكرها، تاهت وبه باهت ولقد سهرت في الحب فساهرها، وجلا أقداح كؤوس الذكر لها فلهذا استأثرها، فله نظرت لما اشتهرت بمحبته إذ أسهرها.

ما أسعدها ما أزهدها ما أرشدها ما أذكرها ما أجملها ما أكملها ما أحملها ما أصبرها، فليالي القدر لها كشفت ولها الباري قد أظهرها. فتعالى رباً مقتدراً خلق الأشياء ودبرها، وقضى الآجال مع الأعمال لكل خلق وقدرها.

أحمده على نعمه التي نشرها وأغرزها وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نافعة لمن عنده أدخرها وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أيد الله به الشريعة ونصرها وهدى الأمة إلى الصواب وبصرها ﷺ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته التي برأها الله تعالى من الرجس وطهرها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر من شهر رمضان. وفي تسميتها بليلة القدر خمس وجوه.

أحدها: إن القدر هو العظمة وهي ليلة عظيمة.

الثاني: إنه الضيق فهي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون من السماء.

الثالث: إن القدر هو الحكم فإن الأشياء تقدر فيها.

---

(١) سورة القدر، الآية: ١.

الرابع: إن لم يكن قدر بصير بمراعاتها إذا قدر .

الخامس: إنه نزل فيها كتاب ذو قدر وملائكة ذو قدر .

واختلفوا هل ليلة القدر باقية إلى زماننا هذا أم كانت في زمن النبي ﷺ خاصة على قولين أصحهما إنها باقية إلى زماننا هذا وإنها في شهر رمضان.

واختلفوا أي الليالي أخص بها على ستة أقوال:

أحدها: إن الأخص بها أول ليلة من شهر رمضان.

الثاني: هي ليلة الحادي والعشرين.

الثالث: هي ليلة الثالث والعشرين.

الرابع: هي ليلة الخامس والعشرين.

الخامس: هي ليلة السابع والعشرين.

السادس: هي ليلة التاسع والعشرين.

وقيل: إنها تتنقل في أفراد العشرة الأواخر من شهر رمضان.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ * لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾[1]

قال ابن عباس رضي الله عنهما ذكر عند رسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه ألف شهر في سبيل الله فتعجب أصحاب النبي ﷺ من ذلك عجباً شديداً وتمنوا أن يكون لهم مثل ذلك فدعا ربه أي رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلهم فأعطاه الله ليلة القدر. فقال يا محمد ليلة القدر خير من ألف شهر. وأعطيتك وأمتك هذه الليلة في كل سنة خيراً لك ولهم من بعدك إلى يوم القيامة في كل شهر رمضان ليلة خير من ألف شهر. وألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر .

قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾[2].

---

(١) سورة القدر ، الآيتان: ٢- ٣ .

(٢) سورة القدر ، الآية: ٤ .

قال المفسرون: ينزلون بكل أمر قضاه الله تعالى في تلك السنة وقدره.

وقوله: سلام: أي سلامة لا يحدث فيها داء ولا ترسل فيها شيطان.

حتى مطلع الفجر: أي إلى طلوع الفجر.

هي ليلة القدر التي شرفت على كل الشهور وسائر الأعوام من قامها يمحو الإله بفضله عنه الذنوب وسائر الآثام، فيها تجلى الحق جل جلاله وقضى القضاء وسائر الأحكام فادعوه واطلب فضله تعط المنى وتجاب بالإنعام والإكرام. فالله يرزقنا القبول بفضله ويجود بالغفران للصواب ويذيقنا فيها حلاوة عفوه ويميتنا حقاً على الإسلام.

وبناءً على ما تقدم انحصرت معالجتنا لهذا البحث في تسعة فصول جاءت على الترتيب التالي:

الفصل الأول: جاء بعنوان **·ليلة القدر إحدى ليالي رمضان·**.

الفصل الثاني: يأتي متناولاً **·ليلة القدر وحكمة نزول الملائكة·**.

الفصل الثالث: يدور حول **·نزول القرآن الكريم في ليلة القدر·**

الفصل الرابع: يحدثنا عن **·فضائـــل ليلة القدر·**.

الفصل الخامس: انصبت دراسته حول **·قضية التفضيل بين ليلة الجمعة وليلة القدر·**.

الفصل السادس: يستعـــرض **·قضية التفضيل بين ليلـــة المولد النبوي الشريف وليلة القدر·**.

الفصل السابع: عنوانـــه **·ليلـــة النصف من شعبان وليلـــة القدر من رمضان·**.

الفصل الثامن: يناقش هذا الفصل **·رؤيا ليلـــة القدر·**.

الفصل التاسع والأخير: يختتـــم هذا البحث بهذا الفصل الـــذي يوضح الدعاء المأثور في ليلة القدر.

وفي نهاية البحث قدمنا النتائج التي أمكن التوصل إليها من خلال ما استعرضناه من موضوعات. بالإضافة إلى ما تضمنه البحث من استنتاجات.

وقد ذيلنا البحث بقائمة تحوى أهم المصادر والمراجع التي استخدمناها بالإضافة إلى مجموعة الأصول التي تحدثت عن هذا الموضوع.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وأن يتقبله بقبول حسن وأن يجعله صدقة جارية وينتفع به المسلمين إنه سميع قريب مجيب الدعاء. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور

عبد الباري محمد داود

الفصل الأول

ليلة القدر

إحدى ليالي رمضان

تدل آيات القرآن الصريحة على أن ليلة القدر إحدى ليالي رمضان، لأن الله تعالى بدأ فيها نزول القرآن ومعلوم أنه ابتداء نزوله في رمضان فيتعين أن يكون ليلة القدر إحدى لياليه، والمتصفح لكتاب الله عز وجل لا يجد في القرآن نص بتعيينها، وما ورد في تعيينها من الروايات في الأحاديث مختلف اختلافاً كثيراً، ولعل الله تعالى أبهمها لحكمة جليلة، لينشط الناس في عبادته والتقرب إليه كل ليالي الشهر، رجاء أن يصادفوها ولا يتكاسلوا في طاعة الله إذ علموها على التعيين، وهذا هو الرأي الذي نعتمد عليه، ولا بأس أن نذكر بعض ما ورد فيها من الأحاديث، لا على أنها نصوص في تعيينها لأنها مختلفة، بل على أنها تغلب على الظن أن تكون ليلة القدر إحدى الليالي الواردة فيها.

قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن سعيد عن عكرمة بن عمار حدثني أبو زميل سماك الحنفي حدثني مالك بن مرثد بن عبد الله حدثني مرثد قال: سألت أبا ذر قلت: كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر؟ قال: أنا كنت أسأل الناس عنها، قلت يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره، قال بل هي في رمضان، قلت تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة، قال بل هي إلى يوم القيامة، قلت في أي رمضان هي؟ (أي في أي أجزائه) قال: التمسوها في العشر الأول، والعشر الأخر، ثم حدث رسول الله ﷺ وحدث ثم اهتبلت غفلته، قلت في أي العشرين هي؟ قال ابتغوها في العشر الأواخر لا تسألني عن شئ بعدها، ثم حدث رسول الله ﷺ ثم اهتبلت غفلته، فقلت يا رسول الله أقسمت عليك بحقي

عليك لما أخبرتني في أي العشرين هي؟ فغضب عليّ غضباً لم يغضب مثله منذ صحبته، وقال: التمسوها في السبع الأواخر لا تسألني عن شئ بعدها[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال، هي في كل رمضان[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، ومن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»[3].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرأيت ليلة القدر، وأريتني أسجد في صبيحتها في ماء وطين، فهاجت السماء وكان المسجد من عريش، فلقد رأيته وعلى أنفه وأرنبته أثر الماء والطين، وذلك صبيحة إحدى وعشرين»[4].

وعن عبد الرحمن بن عبيد الصنابجي عمن أخبره عن بلال رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في ليلة القدر «إنها أول السبع من العشر الأواخر».. يعني ليلة ثلاث وعشرين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «التمسوها في أربع وعشرين»[5].

وعن زر بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب إن ابن مسعود يقول من قام سنته أصاب ليلة القدر، فقال والذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان، وإنها الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها هي ليلة سبع وعشرين[6].

---

(١) رواه النسائي عن الفلاس عن يحيى بن سعيد القطان، وفي دلالة على أن ليلة القدر في رمضان، وأنها تلتمس في العشر الأواخر منه، وأنها تتكرر في كل رمضان إلى يوم القيامة.

(٢) أخرجه أبو داود.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم ومالك والترمذي، وفي رواية للبخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان.

(٤) أخرجه الستة إلا الترمذي.

(٥) أخرجه الشيخان.

(٦) رواه مسلم.

وهذه الأحاديث تدل على أن ليلة القدر إحدى ليالي رمضان، وإنها متنقلة في لياليه، فيجوز أن تكون ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين إلى غير ذلك، وأياً ما كان فإنها غير معينة في ليلة خاصة. وخالف الشافعي في ذلك وذهب إلى أنها غير متنقلة وأنها في ليلة معينة وإن كان قد أبهم علينا علمها. ويمكن أن يحتج له بما رواه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

وفي هذا الحديث دلالة على أن المماراة والتلاحي يقطع الفائدة والعلم النافع، كما جاء في الحديث: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

وقوله عليه الصلاة والسلام «فرفعت» أي رفع علم تعيينها لكم، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود كما يقول بعض الشيعة لأنه قال بعد هذا فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة، ولو كان المراد رفعها بالكلية من الوجود لم يكن للأمر بالتماسها فائدة، وقوله وعسى أن يكون خيراً لكم، يعني عدم تعيينها لكم، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها، فكان أكثر للعبادة، بخلاف ما إذا علموا عينها فإن هممهم تتقاصر على قيامها فقط، وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها، ويكون الاجتهاد في العشر الأواخر أكثر، ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده[1].

---

(١) أخرجاه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان.

وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيى الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر.

وروى مسلم عنها، كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر مالا يجتهد في غيره.

وهذا معنى قولها وشد المئزر، فيكون كناية على الاجتهاد في العبادة، أو عن اعتزال النساء، أو عن الأمرين معاً.

هذا طرف مما ورد من الروايات في ليلة القدر، وأنت ترى أنها متضافرة على أنها من رمضان، ومختلفة في تعيينها، والغرض المقصود منها حث المؤمنين على إحيائها بالعبادة شكراً لله تعالى على ما هداهم بهذا الدين الذي ابتدأ الله إفاضته عليهم في أثنائها ولهم أن يعبدوا الله تعالى فيها أفراداً وجماعات، ومن أراد أن يصادفها على التحقيق فعليه أن يقوم ليالي رمضان كلها وأن يعمرها بالعبادة.

وقد ورد في الحديث الصحيح: «من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». أي من الصغائر، وينبغي أن تكون ليلة عبادة وخشوع، لا كما يفعل الناس في هذا العصر من جعلها زهو ولهو وعبث أضاعت عليهم ما يرجون من فائدتها.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾[1]. والمقصود هنا: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[2]. ونحو ذلك أنه نزل من اللوح المحفوظ على محمد ﷺ من اللوح المحفوظ بواسطة جبريل أو يكون جبريل سمعه من الله كما سمع

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٢) سورة القدر، الآية: ١.

موســى كلام الله من اليمين والشمال والفوق والتحت لا من جهة معينة فعبر عنه جبريل بلغة عربية فهمها محمد ﷺ لأمته بلسان عربي. فالعبارة عربية والمعبــر عنه غير عربي. فهذا معنى النزول ويدل على ذلك قولــه تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[1]. أي صــيرنا قرآن هذا الكتاب عربياً. وقيل: بيناه. وقيل: سميناه. وقيل: وصفناه[2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[3]. يعني القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فوضع في بيت العزة ثم نزل به جبريل متفرقاً في ثلاث وعشرين سنة أوله: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾[4]. وآخره:﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[5].

قال القرطبي: ورأيت في شرح البخاري لابن أبي جمرة عن بعضهم أول ما نزل من القرآن اقرأ وقال بعضهم المدثر[6].

والجمع بينهما أن أول ما نزل من التنزيل اقرأ وأول ما نزل من الأمر بالإنذار المدثر.

فإن قيل: كيف قال: قم فأنذر وما ذكر البشارة وهو ﷺ بشير ونذير ؟

فالجواب: أن البشارة لمن دخل في الإسلام ووقت نزول هذه السورة لم يكن ثم من دخل في الإسلام والله أعلم.

كما قال القرطبي: نزلت التوراة لست معنين في رمضان والإنجيل لثلاث عشرة منه وصحف إبراهيم في أوله.

وقال ابن العماد: يستدل بهذه الآية على أن الليل أفضل من النهار واختلفوا في معنى تفضيلها على ألف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعــة

---

(١) سورة الزخرف ، الآية: ٣ .

(٢) عبد الرحمن العصفوري: نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ص: ١٢- ١٣ .

(٣) سورة القدر ، الآية: ١ . (٤) سورة العلق ، الآية: ١ . (٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٦) عبد الرحمن الصفوري: نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ص: ٢٤٤

أشهر وذلك ثلاثون ألف يوم وثلاثون ليلة.

وقال ابن عبد السلام في قواعده: الحسنة فيها أفضل من ثلاثين ألف حسنة في غيرها.

قال ابن مسعود: ينبغي أن ينوي قيامها من أول ليلة المحرم إلى آخر السنة فيكون قد صادفها قطعاً.

وقال النووي: ولا ينال فضلها إلا من أطلعه الله عليها[1].

وقال الماوردي: يستحب كتمانها لمن رآها.

وقيل كثير من المفسرين العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

قال كعب الأحبار رضي الله عنه كان في بني إسرائيل ملك صالح فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له يتمنى فقال أتمنى أن أجاهد في سبيل الله بمالي وولدي فرزقه الله تعالى ألف ولد فصار يجهز الولد فيجاهد حتى يقتل شهيداً ثم يجهز الآخر فيقتل شهيداً وهكذا حتى قتلوا في ألف شهر ثم جاهد الملك فقتل فقال الناس لا يدرك فضيلته أحد فأنزل الله هذه السورة[2].

وقال الواقدي: هي أول سورة نزلت بالمدينة فضيلتها.

وقال نجم الدين النسفي: نزل بمكة خمس وثمانون سورة أولهن الفاتحة وأخرهن ويل للمطففين ونزل بالمدينة تسع وعشرون أولهن البقرة وأخرهن المائدة.

وقال أبو بكر الوراق: كان ملك سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذو القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل في هذه الليلة خيراً من ملكهما.

---

(١) عبد الرحمن الصفوري: نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ص: ١٢- ١٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص: ٢٤٥ .

ولقد جاء في روض الأفكار أن النبي ﷺ ذكر يوماً أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاماً لم يعصوه طرفة عين فعجبت أصحابه من ذلك فجاء جبريل بهذه السورة فسر النبي ﷺ أصحابه بذلك.

واختلفوا في تعيينها فالأكثر رواية على أنها في السابع والعشرين من رمضان. ومن صلى في هذه الليلة أربع ركعات يقرأ الفاتحة والتكاثر مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات هون الله عليه سكرات الموت ورفع عنه عذاب القبر وأعطاه أربع عواميد من نور على كل عمود ألف قصر(١).

وقال الشافعي رضي الله عنه: أقوى الروايات عنها أنها في الحادية والعشرين.

وقال صاحب التنبيه لا تنحصر في العشر الأواخر وأنكره الرافعي.

وقد قيل: إن أحرف ليلة القدر تسعة فذكرها الله تعالى ثلاث مرات فتضرب ثلاث في تسع تبلغ سبعة وعشرين فدل على أنها في السابع والعشرين. وبه قال ابن عباس أيضاً واحتج بأن الله خلق السموات سبعاً، والأرض سبعاً، والبحار سبعاً، وخلقنا من سبع، ورزقنا من سبع(٢).

كما قيل: ليلة القدر ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة إلى محبوبه، وهو وقت ابتداء وصول السالك إلى عين الجمع ومقام البالغين في المعرفة.

إن ليلة القدر خير من ألف شهر، وقد كان النبي ﷺ يجتهد في طلبها في العشر الأواخر من رمضان فيكثر من الدعاء والاستغفار والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بصالح الأعمال.

ومما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) عبد الرحمن الصفوري: نزهة المجالس، ص: ٢٤٥.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢٤٥- ٢٤٦.

أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».[1]

وقال رسول الله ﷺ: «لقد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِم فيها فقد حرم».[2].

فليلة القدر ليلة نزل فيها القرآن. ليلة تلقى محمد ﷺ أمر الرسالة. الرسالة الخاتمة لكل الرسالات المصححة لكل الأخطاء المهيمنة على كل الكتب السماوية، المصدقة لرسالة كل رسول. الباقية في كل زمان، وفي كل جيل.

وعن ذر بن حبيش قال: سمعت أبي بن كعب يقول: وقيل له إن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه يقول: من قام السنة أصاب ليلة القدر، فقال أبي: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان يحلف ما يستثنى، والله إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها هي ليلة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها لا شعاع لها[3].

وروى البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: اعتكفنا مع النبي ﷺ العشر الأوسط من رمضان، فخرج صبيحة عشرين فخطبنا وقال: «إني رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها أو نسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر، إني رأيت أني أسجد في ماء وطين فمن كان اعتكف مع رسول الله ﷺ فليرجع». فرجعنا وما نرى في السماء قزعةً، فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد ـ وكان من جريد النخل ـ وأقيمت الصلاة فرأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين، حتى رأيت أثر الطين في جبهته[4].

وعن عبد الله بن أنيس: أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة القدر ثم

(١) رواه البخاري في صحيحه. (٢) رواه أحمد، والنسائي، والبيهقي.
(٣) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي في صحيحه. (٤) رواه البخاري في صحيحه.

أنسيتها وإذا بي أسجد صبيحتها في ماء وطين .. قال: فمطرنا في ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله ﷺ وانصرف، وأن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه[١].

وعن أبي بكرة: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: . التمسوها في تسع بقين، أو سبع بقين، أو خمس بقين، أو ثلاث بقين، أو آخر ليلة .. قال: وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان صلاته في سائر السنة فإذا دخل العشر اجتهد[٢].

وعن أبي نضرة عن أبي عباس في حديث له: أن النبي ﷺ خرج على الناس فقال: . يا أيها الناس. إنها كانت أبينت ليلة القدر، وإني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان فنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان، التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة .. قال: قلت يا أبا سعيد: إنكم أعلم بالعدد منا، فقال: أجل! نحن أحق بذلك منكم، قال: قلت: ما التاسعة والسابعة والخامسة؟ قال: إذا مضت واحدة وعشرون فالتي تليها اثنان وعشرون فهي التاسعة. فإذا مضت ثلاث وعشرون فالتي تليها السابعة، فإذا مضت خمس وعشرون فالتي تليها الخامسة[٣].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: . التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعه تبقى، في سابعه تبقى، في خامسه تبقى .[٤].

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: . هي في العشر الأواخر سبع يمضين أو سبع يبقين، يعني ليلة القدر .[٥].

---

(١) رواه أحمد ومسلم وزاد.

(٢) رواه أحمد، والترمذي وصححه.

(٣) رواه أحمد ومسلم.

(٤) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود.

(٥) رواه البخاري.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ـ أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحرياً فليتحرها في السبع الأواخر».

ولمسلم قال: أُري رجل ليلة القدر ليلة سبع وعشرين، فقـال النبي ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر في الوتر منها».

وعن عائشة رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»(١).

وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»(٢).

وعن عبد الله بن أنيس ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت لرسول الله ﷺ، إن لي بادية أكون فيها وأنا أصلي فيها بحمد الله، فمرني بليلة أنزلها إلى هذا المسجد فقال: «أنزل ثلاث وعشرين»(٣).

قيل لابنه: كيف كان أبوك يصنع؟ قال: كان يدخل المسجد إذا صلى العصر فلا يخرج منه إلا لحاجة حتى يصلي الصبح، فإذا صلى الصبح، وجد دابته على باب المسجد، فجلس عليها ولحق بباديته.

قال البغوي: وفي الجملة أَبهمَ الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا بالعبادة في ليالي رمضان طمعاً في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، واسمه الأعظـم في

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو داود.

الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذراً من قيامها[1].

إذا تقرر هذا وعلمت ما ورد من الحث عليها، فاعلم أنه ينبغي لكل موفق مريد للكمال والسعادة الأبدية أن يبذل وسعه ويستفرغ جهده في إحياء ليالي العشر الأواخر وقيامها لعله أن يصادف تلك الليلة الجليلة التي اختص الله تعالى بها هذه الأمة، وآتاهم فيها الفضل مالا يحصره العدد.

ولقد اختار الحق سبحانه وتعالى من بين شهور السنة الاثنى عشر رمضان ليكن هو الأيام المعدودات التي يزاول فيها الصوم ثم بيـن لنا سبحانه وتعالى أنه اختار هذا الشهر ليظل يذكر المسلمين إلى الأبد أنه في مثل هذا الشهر وفي ليلة من لياليه نـزل القرآن الكريم أول ما نـزل على سيدنا محمد ﷺ. وسمي الله سبحانه وتعالى ليلة نزوله بأنها ليلة القدر وأنـزل في أفضليتها صورة تشع حروفها ومعانيها بموسيقى من نوع خاص تهتـز لها أرواح المؤمنين فقال وقوله الحـق: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[2].

وتلتمس ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان، وآكدها ليلة سبع وعشرين.

وعند مالك رضي الله عنه جميع ليالي العشر ليس بعض بآكد من بعض.

وعند الشافعي رحمه الله: آكدها إحدى وعشرون.

---

(١) عبد العزيز المحمد السلمان: موارد الظمآن لدروس الزمان (الرياض: معهد الدعوة، الطبعة الثالثة عشر، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ج١، ص: ٣٦٠.

(٢) سورة القدر، الآيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

وقيل: أنها ليلة التاسع عشر، وهو مذهب عائشة رضي الله عنها.

وقال أبو برده الأسلميّ رضي الله عنه: هي ليلة ثلاث وعشرون.

وقال أبو ذر والحسن رضي الله عنهما: أنها ليلة خمس وعشرين.

وروى بلال رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنها ليلة أربع وعشرين.

وقال ابن عباس وأبيّ بن كعب رضي الله عنهم إنها ليلة سبع وعشرين.

والدليل على أن آكدها ليلة سبع وعشرين والله أعلم، ما روى ابن حنبل رضي الله عنه بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كانوا لا يزالون يقصون على النبيّ ﷺ الرؤيا من العشر الأواخر فقال النبيّ ﷺ: أرى رؤياكم قد تواترت أنها ليلة سابعة من العشر الأواخر، من كان متحرياً فليتحرّها الليلة السابعة من العشر الأواخر".

وروي أن ابن عباس قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم: إني نظرت في الأفراد فلم أر فيها أحرى من السبعة، فذكر بعض ما نذكره في السبعة فقال: السموات سبع، والأرضون سبع، والليالي سبع، والأفلاك سبع، والنجوم سبع، والسعي بين الصفا والمروة سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع، وخلق الإنسان من سبع، ورزقه من سبع، وشق في وجهه سبع، والخواتيم سبع، والحمد سبع آيات، وقراءة القرآن على سبعة أحرف، والسبع المثاني، والسجود على سبع أعضاء، وأبواب جهنم سبع، وأسماؤها سبع، ودرجاتها سبع، وأصحاب الكهف سبع، وأهلك عاد بالريح سبع ليال، ومكث يوسف عليه السلام بالسجن سبع سنين، والبقرات سبع، والسنون الجدبة سبع، والسنوات الخصبة سبع، والصلوات الخمس سبع عشرة ركعة، وقال الله عز وجل: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[1]. وحرم من النساء النسب سبع، ومن الصهر سبع، وجعل رسول الله ﷺ طهارة الإناء إذا ولغ فيه الكلب سبع مرات إحداهن

---

(1) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

بالتراب، وعدد حروف سورة القدر إلى قوله تعالى: «سلام هي» سبع وعشرون حرفاً، ومكث أيوب عليه السلام في بلائه سبع سنين، وقالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت سبع سنين، وأيام العجوز يعني الحسوم سبعة ثلاثة من فبراير وأربعة من مارس، وقال ﷺ: «شهداء أمتي سبعة: القتيل في سبيل الله، والمطعون، والمسلول، والغريق، والحريق، والمبطون، والنفساء من النساء».

وأقسم الله عز وجل بسبع: «والشمس وضحاها» إلى قوله تعالى: «وما سوّاها».

وكـــان طـــول موسى عليه السلام سبعة أذرع بذراع ذلك القرن، وطول عصى موسى سبعة أذرع، فإذا ثبت أن أكثر الأشياء سبع، فقد نبه الله تعالى عباده على أن ليلة القدر السابعة والعشرين بقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾[1]. فعلمنا بذلك أنها ليلة السابع والعشرين.

ولو أخذنا اختلاف السنة القمرية عن السنة الشمسية لوجدنا أن ليلة القدر جاءت كل يوم من أيام السنة.. فرمضان يأتي في الربيع والخريف والصيف والشـــتاء.. أي أنـــه يدور في العام كله.. في كل فصل من فصوله.. ما من شـــهر من شهور السنة الشمسية إلا وشهد رمضان أو جزءاً من رمضان.. ومع طول الزمن نجد أن ليلة القدر هي الأخرى قد مرت في العام كله.. في كل يوم من أيامه.

وقد يسأل سائل: ما السر في كونها بالليل ؟

والجواب: اختيار الليل هنا لأنه الوقت الذي تكون فيه العبادة لله وحده.. فيه صفاء وهدوء.. وفيه صدق التعبير.. فالذي يرائي بعبادة الله لا يمكن أن يقوم بالليل.. والذي يراد أن يقال عنه أنه رجل صالح رياءً أو نفاقاً لا يمكن

---

(١) سورة القدر، الآية: ٥.

أن يقوم بالليل.. ولكن الذي يقوم بالليل هو الخاشع لله سبحانه وتعالى المؤمن به. وعندما يختار الله وقتاً من الأوقات.. أو مكاناً من الأمكنة أو شخصاً لينعم عليه بما يشاء.. ويصطفيه لرسالته أو لإبلاغ خلقه منهجه.. فهذا الاختيار هو خير للبشرية كلها.. فاختيار مكة مثلاً مكاناً لبيت الله الحرام هو في نفس الوقت تكريم للعالم كله. فالناس من جميع أنحاء العالم تذهب هناك لتحج وتؤدي المناسك وتتوب إلى الله وتستغفره وتعود إلى بلاده الذنب.

إذن فالخير هنا لم يقتصر على مكة وحدها.. بل امتد ليشمل رحمة الله للعالم أجمع(١).

ورسول الله ﷺ أرسل رحمة للعالمين وكلنا ندعو له بالرفعة والمقام المحمود. فنحن ندعو لأنفسنا.. لأنه بالمقام المحمود الذي سيكون فيه يوم القيامة.. سيشفع لنا جميعاً فيصيبنا الخير والرحمة على يديه.

ونتساءل: كيف يتحقق أمن البشرية ؟

والجواب: فالنفس البشرية كي تعيش آمنة في الحياة الدنيا يجب أن تتخلص من عدة أشياء.. أولها الخوف، والخوف يكون من شئ معلوم.. ثم الهم والحزن والذي يدخل القلب، وهذا قد يأتي من شئ غير مجهول لك، ثم المكر أن يمكر بك غيرك.

كذلك اختيار ليلة القدر هي لتعم الدنيا كلها بفضل من الله ورحمة. وليلة القدر سلام وأمن لأنها تذكرنا بالقرآن الكريم الذي لو اتبعناه لأذهب عنا الخوف والهم والحزن(٢).

وهنا ينبغي أن نوضح أن الفرق بين العام القمري والعام الشمسي أحد عشر يوماً. وهذا الفرق مثلاً يجعل رمضان يأتي في الشتاء وفي الصيف

(١) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن (القاهرة: وزارة التربية والتعليم، قطاع شئون الكتب، سنة ١٩٩١م) ص: ٨٠- ٨١.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحات.

وفي الخريف وفي الربيع. أي أنه يقسم على أيام السنة كلها. وعلى فصولها جميعاً. فإذا حسبنا الاختلاف مع طول الزمن نجد أن ليلة القدر جاءت منذ بدء الخليقة حتى الآن مرة واحدة على الأقل في كل يوم من أيام السنة.

ليلة القدر تدور في الدنيا لتشمل كل يوم فيها، لتشمل الزمن كله. هي بالنسبة لنا في رمضان. ولكن بالنسبة لحساب الزمن تدور في كل يوم منه.

والذي يقول التمسوها في العشر الأواخر، أو في وتر العشر الأواخر من رمضان. لو أنه قال التمسوها في شئ معطوف على العشرين يكون الخلاف موجوداً. ولكن في العشر الأواخر من رمضان قد يكون فيها ثلاثين يوماً وقد يكون تسعة وعشرون يوماً ويلتمسها في العشر الأواخر. تكون بدأت من عشرين وبذلك تكون عشرين، واثنين وعشرين وأربعة وعشرين، إلى آخره.. فإذا كان رمضان ثلاثين يوماً تكون البداية واحد وعشرين، وبذلك يلتمسها أيام واحد وعشرين، وثلاثة وعشرين، وخمسة وعشرين، وهكذا.

وهنا يبرز سؤال: من يدرينا ونحن في العشرين من رمضان إذا كان رمضان سيكون تسعة وعشرين يوماً أو ثلاثين يوما؟ من يدرينا بذلك.. طبعاً نحن لا نعرف ذلك مقدماً.

ومن هنا فإننا إذا كنا نلتمس العشر الأواخر من رمضان فيجب أن نلتمسها في كل ليلة من العشر الأواخر. أو في وتر العشر الأواخر.. نقول له إنَّ الشفع يسبق وتراً، والوتر يسبق شفعاً باختلاف نهاية شهر رمضان.

ومن هنا فإننا يجب أن نلتمسها في العشر الأواخر من رمضان ولا خلاف على ذلك.

نأتي بعد ذلك إلى نقطة أخرى وهي ترقب يوم واحد وعشرين، وثلاثة وعشرين، وخمسة وعشرين، وسبعة وعشرين أن هذا أثر من آثار نضح الشر على الخير.

فالرسول ﷺ خرج وقال كنت قد خرجت لأخبركم بليلة القدر إلا أن تلاحى فلان وفلان. أي تشاجرا في المسجد فرفعت عني. فالتمسوها في العشر الأواخر.

فكان الذي جاء لرسول الله ﷺ ليخبره عن تحديد ليلة القدر بالذات.. ثم بعد ذلك حدثت المشاجرة التي قامت بين اثنين في المسجد فأخفيت ليلة القدر. فكأن الله يريد أن يخبرنا أن التشاجر هو ميدان لمعارك الشر وأن ذلك يمنع الخير. والصفاء نفسه يستدعى الصفاء فعندما يجد الله سبحانه وتعالى جمعاً كله صفاء تتنزل فيه ملائكة الرحمة لأن الله سبحانه يحب من خلقه الإخاء والصفاء فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ ﴾(١).

ولكن عندما يريد الله أن ينزل خيراً عميماً على الناس ثم يأتي فيجد أنهم ليسوا أهلاً لهذه الرحمة أو لهذا الخير أجهزة الاستقبال عندهم تالفة حينئذ يقبض عنهم الخير فإذا أردنا أن نكون أهلاً لعطاء الله. وبعد ذلك شاء الله رحمة منه ألا يحرمنا من الخير كله فأتعبنا قليلاً قال إنها في العشر الأواخر من رمضان بدلاً من تحديد الليلة. وفي ذلك حكمة من الله سبحانه وتعالى في أنه يريد أن يقف الناس في وجه الشر مهما كان هذا الشر حتى يمكنهم أن يستقبلوا عطاء الله ورحمته. وفي هذه الحالة يكون التمسك بالخير هو دفاع الإنسان عن ذاتية نفسه مصـــداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : "تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان".

ومما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من كان ملتمساً ليلة

---

(١) سورة محمد ، الآية: ١٧ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية: ٢٥ .

القدر فيلتمسها في العشر الأواخر من رمضان.

ومما يروى عن رسول الله ﷺ أنه اعتكف العشر الأوائل من رمضان ثم اعتكف العشر الأوسط منه فلما أتاه جبريل عليه السلام فقال ما تطلب ما وراءك فإنه أخبره أن ما طلبه إنما هو في العشر الأواخر.

وفي الأخبار الصحيحة أنها في أوتارها. أي في إحدى وعشرين أو ثلاثة وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين. وما عليه أكثر العلماء أنها في سبع وعشرين لما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال أنها ليلة سبع وعشرين. فقيل بأي وجه تقول ذلك؟ قال بالعلامة التي أخبرنا رسول الله ﷺ بها أن الشمس تطلع من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها.

وقيل: من أماراتها أنها ليلة بلجة[1] لا باردة ولا حارة تطلع الشمس صبيحها ليس لها شعاع.

ومن أماراتها ما روي عن عبيد بن عمير أنه قال: كنت في السابع والعشرين من رمضان في البحر فأخذت من مائه فوجدته عذباً سلساً. وذلك لأن ليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شئ من الملكوت.

وقال بعضهم أنها الليلة الأخيرة من رمضان واستدل عليه بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: إن لله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتقوا من النار كلهم استوجبوا العذاب فإذا كان ليلة من رمضان أعتق الله تعالى في ذلك اليوم بعدد من اعتق من أول الشهر إلى آخره ولأن الليلة الأولى كمن ولد له ولد في ليلة شكر والليلة الأخيرة كمن مات له ولد في ليلة صبر ولا يخفى ما بين الشكر والصبر من الفرق فإن الشاكر مع المزيد لقوله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[2]. والصابر مع الله تعالى

---

(١) بلجة: مطمئنة ساكنة.

(٢) سورة إبراهيم ، الآية: ٧ .

لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

وقيل يحتمل أن لا يوجد لها طريقة واحدة في الأعوام فربما تكون في عام في إحدى وعشرين وفي عام آخر في ثلاث وعشرين. وعلى هذا النسق. ولهذا اختلفت الصحابة فيها.

والحكمة في إخفائها بعد بيان فضلها وشرفها أنهم لو عرفوها بعينها لقصدوها بالعبادة وأهملوا سائر الليالي. وأما إذا لم يعرفوها بعينها فمن يريدها من المؤمنين يعبدون الله تعالى في جميع الليالي رجاء أن يوفقوا لها فتكثر عباداتهم ويتضاعف ثوابهم.

ولهذه الحكمة أخفاها عليهم كما أخفى عليهم رضاءه في الطاعات ليرغبوا في كلها وأخفى غضبه في المعاصي ليحتززوا عن جميعها. وأخفى وقت الموت ليكونوا على استعداد منه في كل وقت. وأخفى ساعة الاستجابة يوم الجمعة ليشتغلوا بالدعاء في جميع ساعاتها. وأخفى المسبحات من الدعوات ليدعوه بجميعها. وأخفى الاسم الأعظم ليذكروه بجميع أسمائه. وأخفى وليه فيما بين الناس ليعظموا كلهم سوى من كان مجاهر بالفسق أو البدعة ثم القدر يجوز أن يكون بمعنى التقدير وهو تعيين مقدار الشيء سميت به هذه الليلة لأنه تعالى يقدر فيها كل شئ يكون في تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماته إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية وتسليمه إلى المدبرات من الملائكة الذين هم إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام.

وفي هذا الصدد يقول الإمام الشافعي رحمه الله أقوى الروايات عندي أن ليلة القدر هي ليلة الحادي والعشرين.

وعن أبي حنيفـــة رحمه الله ، أن ليلة القدر تدور في كل رمضان لكنهـــا

---

(1) سورة الأنفال، الآية: ٤٦ .

تتقدم وتتأخر.

وعن أبي يوسف ومحمد رحمهما الله؛ هي معينة إلا أنها لا تغزو أي ليلة.

وفي بعض الروايات كما أسلفنا في مواضع آخر أنها تدور في السنة قد تكون في رمضان وقد تكون في غير رمضان.

وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر من رمضان مالا يجتهد في غيرها.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا جاء العشر الأواخر منه أحيى ليله وأيقظ أهله.

ومن المرويات عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا هي في العشر الأواخر من رمضان أو سبع بيقين أو خمس بيقين أو ثلاث بيقين أو آخر ليلة. فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا دخل رمضان يصلي كما يصلي في سائر السنة فإذا دخل العشر الأواخر اجتهد.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأوسط من رمضان فاعتكف عاماً حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج صبيحها من اعتكافه. قال: من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر وقد رأيت هذه الليلة. وقد رأيت أني أسجد في صبيحها في ماء وطين فالتمسوها في العشر الأواخر في كل وتر.

فقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فأمطرت السماء بتلك الليلة انصرف علينا رسول الله ﷺ وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين.

والدليل على صحة ما نقول كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ.

فأما دليل كتاب الله تعالى أن سورة إن أنزلناه ثلاثون كلمة. وقوله إنا كلمة وأنزلناه كلمة فإذا عددنا كلماتها إلى قوله تعالى: هي التي هي كناية به

عن هذه الليلة كان هي السابع والعشرين من الكلمات ثم بعدها كلمات أخر حتى مطلع الفجر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عز وجل إلى خلقه. وإذا نظر الله إلى عبد لم يعذبه أبداً. ولله في كل ليلة ألف ألف عتيق من النار.

وفي الخبر إذا كان ليلة القدر يأمر الله جبريل فيهبط في كبكبة من الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر فوكزه على ظهر الكعبة وله ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر. فينشرهما في تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب فيمكث جبريل والملائكة في هذه الليلة فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصلي وذاكر ويصافحونهم ويؤمنوا على دعائهم حتى يطلع الفجر. فإذا طلع الفجر نادى جبريل يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل فيقولون يا جبريل ما فعل الله في حوائج المؤمنين فيقول لهم إن الله نظر إليهم وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة نفر مدمن خمر وعاق لوالديه وقاطع الرحم والمشاحن.

وقد قيل: إن ليلة القدر من خصائص هذه الأمة.

وأخرج أبي داود والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر قال هي في كل رمضان.

وقال بعضهم ومنهم الإمام الأعظم هي من ليالي السنة حتى لو علق طلاق امرأته أو عتق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تمض سنة من حين حلف.

ويروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه من يقم الحول يصيبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن أما أنه علم أنها في شهر رمضان ولكن أراد أن لا يتكل الناس.

والظاهر أن كونها في رمضان أمر غالبي وكونها في ليالي السنة كلها أمر احتمالي لإبهام الله إياها وللأحاديث المتعارضة في تعيينها واختاره الإمام أبو حنيفة لأجل التيقن في تعليق المسألتين مع أنه وأصحابه ذهبوا مع جمهور العلماء على أنها ليلة سبع وعشرين.

ومما يؤيد القول بأنها في جميع السنة دائرة ما أخرج ابن مردوية عن ابن مسعود قال: سئل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال كنت علمتها ثم اختلست مني وأرى أنها في رمضان فاطلبوها في تسع بيقين أو سبع بيقين أو ثلاث بيقين. وآية ذلك أن الشمس تطلع ليس لها شعاع ومن قام السنة سقط عليها يعني البته.

قال البغوي والجمهور من أهل العلم أنها في شهر رمضان.

وقد قيل: منهم أبو يوسف ومحمد ويدل عليه ما رواه ابن ماجه عن أنس مرفوعاً أن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم.

واختلفوا في تلك الليلة فقال أبو رزين العقيلي هي أول ليلة من شهر رمضان.

ويؤيده ما أخرج ابن مردوية عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: التمسوا ليلة القدر في أول ليلة من رمضان وفي تسعة وفي إحدى عشرة وفي إحدى وعشرين وفي آخر ليلة من رمضان.

وقال الحسن هي ليلة سبع عشرة. وهي الليلة التي كان صبيحتها وقعة بدر.

وقد قيل: وهو المناسب لما ورد من سبب نزولها كما تقدم والله أعلم.

ويؤيده ما أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام قال: ليلة القدر ليلة سبع عشرة ليلة جمعه.

وأخرج أبو الشيخ عن عمرو بن حريث قال: إنما أرى أن ليلة القدر لسبع عشرة ليلة الفرقان.

وأخرج محمد بن منصور والطبراني عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه أنه كان يحيى ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان وليلة سبع وعشرين ولاء كإحياء سبع عشرة فقيل له: كيف تحيي ليلة سبع عشرة؟ قال إن فيها نزل القرآن وفي صبيحتها فرق بين الحق والباطل.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن منيع والبخاري في تاريخه والطبراني وأبو الشيخ والبيهقي عن زيد بن أرقم أنه سئل عن ليلة القدر فقال ليلة سبع عشرة ما نشك ولا نستثني. وقال ليلة نزول القرآن ويوم الفرقان ويوم التقى الجمعان.

وأخرج الحارث بن أبي أسامة عن عبد الله بن الزبير قال هي الليلة التي لقي رسول الله ﷺ في يومها أهل بدر.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾(١).

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة ومحمد بن منصور والطبراني وابن مردوية عن ابن مسعود قال: التمسوا ليلة القدر لسبع عشرة خلت من رمضان فإنها صبيحة يوم بدر التي قال الله فيها:

﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ ﴾(٢).

والصحيح الذي عليه الأكثرون أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان لما روي الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان.

ولما أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما

---

(١) ، (٢) سورة الأنفال، الآية: ٤١ .

قال: قال رسول الله ﷺ: التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان.

ولما ثبت عنها أيضاً قالت كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لم يجتهد في غيرها.

ولما رواه البخاري عنها أيضاً قالت كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيي ليله وأيقظ أهله.

ثم اختلفوا أنها في أي ليلة من العشر فروي البخاري ومسلم وابن أبي شيبة وأحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد الرحمن بن حميد وابن جرير في تهذيبه عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من كان ملتمساً ليلة القدر فليلتمسها في العشر الأواخر وتراً.

وثبت عن أبي بكرة أنه كان يقول ما أنا بطالبها بعد شئ سمعت من رسول الله ﷺ ألا في العشر الأواخر. سمعت من رسول الله ﷺ يقول التمسوها في العشر الأواخر من تسع بيقين أو سبع بيقين أو خمس بيقين أو ثلاث بيقين أو آخر ليلة.

وروي البخاري عن عبادة بن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة ولا متمسك بهذا الحديث في رفعها فإن المراد رفع تعيينها لا رفع نفسها كما يدل عليه قوله فالتمسوها الخ وفيه دلالة ظاهرة على أن القلوب الطاهرة تتأثر بالسرعة لإحساس الأمور المتنافرة ولو على طريقة النادرة فكيف إذا وقعت على سبيل المتكاثرة.

وروي مالك عن نافع عن ابن عمر أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله ﷺ إني أرى رؤياكم فقد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر.

وروي عن أبي سعيد الخدري أنها ليلة إحدى وعشرين.

وقال بعضهم هي ليلة ثلاثة وعشرين.

ويؤيده ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تذاكرنا ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ كم مضى من الشهر فقلنا اثنان وعشرون وبقي ثمان فقال مضى اثنان وعشرون وبقي سبع فطالبوها الليلة الشهر تسع وعشرون.

وقال قوم هي ليلة سبع وعشرون وهو قول على وأبي بكر وعائشة وابن عباس رضي الله عنهم.

وقد ثبت برواية أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي والطحاوي وغيرهم من عاصم عن ذّر قال: قلت لأبي بن كعب أبا المنذر أخبرنا عن ليلة القدر فإن ابن أم عبد يقول من يقوم الحول يصيبها. فقال رحم الله أبا عبد الرحمن أما إنه قد علم أنها في رمضان. ولكن كره أن يخبرهم فيتكلوا هي والذي أنزل القرآن على محمد ﷺ فحفظنا وعددنا هي والله لا نستثني قال: قلنا لذر وما الآية ؟ قال: تطلع الشمس كأنها طاس.

وفي رواية البخاري وغيره طست ليس لها شعاع.

وأخرج ابن جرير في تهذيبه عن أبي قلابة قال: ليلية القدر تحول في ليالي العشر كلها.

وقد قيل: وبهذا يجمع بين الأحاديث والأقوال ويزول الاشتباه والأشكال وأجمع منه من قال أنها تتحول في ليالى رمضان كلها. ثم الأجمع من الجميع

من قال أنها تدور في ليالي السنة كلها ليحصل بركتها إلى سائرها وليدركها الأمة المرحومة غالبها.

ولقد أخرج البيهقي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ من صلى المغرب والعشاء في جماعة حتى ينقضي شهر رمضان فقد أصاب من ليلة القدر بحظ وافر.

وأخرج الخطيب عن أنس مرفوعاً من صلى ليلة القدر العشاء والفجر في جماعة فقد أخذ من ليلة القدر بالنصيب الوافر.

وأخرج ابن خزيمة والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ من صلى العشاء الأخيرة في جماعة في رمضان فقد أدرك ليلة القدر.

وأخرج البيهقي عن على رضي الله عنه قال: من صلى العشاء كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ فقد قامه. ومما يدل على إطلاق الليالي ولو في غير رمضان ما أخرجه مالك وابن أبي شيبة وابن زنجوية والبيهقي عن سعيد بن المسيب قال: من شهد العشاء ليلة القدر في جماعة فقد أخذ بحظه منها. ثم هذا لا ينافي وقوعها باعتبار الأغلبية في إحدى ليالي رمضان أو في سبع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة من أن الأدلة على كونها سبعا وعشرين أكثرو عليه جمهور الصحابة وعامة العلماء.

ومما يؤيده ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن سعد عن أبي بن كعب قال ليلة القدر سبع وعشرين.

وأخرج ابن أبي شيبة عن ذر أنه سئل عن ليلة القدر فقال كان عمر وحذيفة وناس من أصحاب رسول الله ﷺ لايشكون أنها ليلة سبع وعشرين.

وأخرج ابن جرير عن على قال: ليلة القدر سبع وعشرين.

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : التمسوا ليلة القدر سبع وعشرين.

وأخرج ابن منصور وابن جرير في تهذيبه والبزار والطبراني عن معاوية ابن أبي سفيان عن النبي ﷺ قال: ليلة القدر ليلة سبع وعشرين.

وأخرج أحمد والطبراني عن ابن عمر مرفوعاً تحروا ليلة القدر فمن كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين.

وأخرج محمد بن منصور عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر أشئ يكون في زمان الأنبياء ينزل عليهم فيها الوحي فإذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة. قال: بل هي إلى يوم القيامة. قلت يا رسول حدثني أي شهر هي. قال: إن الله لو أذن لي أن أخبركم بها لأخبرتكم فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان في أحد السّبعين ثم لا تسألني عنها بعد مرتك هذه ثم أقبل رسول الله ﷺ على الناس يحدثهم فلما رأيته قد استنطق به الحديث قلت: أقسمت عليك يا رسول الله لتخبرني بها في أي السبعين هي فغضب عليّ غضباً لم يغضب عليّ قبلها ولا بعدها. فقال: إن الله لو أمرني أن أخبركم لأخبرتكم ولا آمن أن تكون في السبع الأواخر.

قيل لأبي عمرو رأيت قوله اطلبوها في أحد السبعين.

قال يعني ليلة ثلاث وعشرين وليلة سبع وعشرين.

قلت وكأنه نظر إلى أول السبع وآخره وإلا ظهر أن أحد السبعين سبع عشرة والأخر السبع والعشرون. ثم قول السبع الأواخراخر يراد به السبع والعشرون.

مما يدل على كونها ليلة ثلاث وعشرين ما أخرجه مالك وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد ومسلم والطحاوي والبيهقي عن عبد الله بن أنيس أنه سئل

عن ليلة القدر فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول التمسوها الليلة وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين.

وأخرج مالك والبيهقي عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله بن أنيس الجهني عنه أنه قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله إني رجل شاسع الداراى بعيد عن المدينة فمرني بليلة أنزل لها فقال رسول الله ﷺ أنزل ليلة ثلاث وعشرين.

قلت: وفيه دليل على أن إحياء ليلة القدر ينبغي أن يكون في مكان ذي قدر ليجوز العبادة بزيادة المثوبة باعتبار فضيلتي الزمان والمكان في تلك الحالة.

وأخرج البيهقي عن الزهرى قال: قلت لضمرة بن عبيد الله بن أنيس ما قال النبي ﷺ لأبيك في ليلة القدر. قال كان أبي صاحب بادية قال: فقلت يا رسول الله مرني بليلة أنزل فيها. قال: أنزل ليلة ثلاث وعشرين. قال فلما تولى قال رسول الله ﷺ اطلبوها في العشر الأواخر. فهذا يدل على اختصاص السائل به. أما كونها في تلك السنة بخصوص تلك الليلة. أو أراد أنزل ليلة ثلاث وعشرين إلى آخر الشهر.

ومما يدل على أنها قد تكون في غير الأوتار ما أخرجه الطيالسى عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: ليلة القدر أربع وعشرون.

وأخرج أحمد والطحاوي وأبو داود والطبراني وابن جرير وابن مردوية عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ : ليلة القدر ليلة أربع وعشرين.

وأخرج محمد بن منصور عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: التمسوا ليلة القدر في أربع وعشرين.

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والبيهقي من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ التمسوها في العشر الأواخر من

رمضان والتمسوها في التاسعةِ والسابعة والخامسة. قلت يا أبا سعيد إنكم أعلم بالعدد منا قال: أجل. قلت: وما التاسعة والسابعة والخامسة. قال: إذا مضت واحدة وعشرون فالتى تليها التاسعة. وإذا مضت الثلاث والعشرون فالتى تليها السابعة. وإذا مضى خمس وعشرون فالتى تليها الخامسة.

وأخرج الطيالسى وان زنجوية وابن حبان والبيهقي عن أبي ذر قال: صمنا مع رسول الله ﷺ فلم يقيم بنا شيئاً من الشهر حتى إذا كانت ليلة أربع وعشرين السابع مما يبقي صلى بنا حتى كاد أن يذهب ثلث الليل فلما كانت ليلة خمس وعشرين لم يصل بنا. فلما كانت ليلة ست وعشرين الخامسة مما يبقي صلى بنا حتى كاد أن يذهب شطر الليل فقلت يا رسول الله لو نفلتنا بقية ليلتنا فقال: إن الرجل إذا صلى مع الأيام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة. فلما كانت سبع وعشرين لم يصل بنا فلما كانت ليلة ثمان وعشرين جمع رسول الله ﷺ أهله واجتمع له الناس فصلى بنا حتى كاد أن يفوتنا الفلاح ثم لم يصل بنا شيئاً من الشهر والفلاح والسحور.

وهنا يقول صاحب التبيان: وبهذا يتبين معنى ما رواه البخاري وأو داود وابن جرير والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: التمسوها في العشر الأواخر من رمضان في تاسعة تبقى وفي سابعة تبقى وفي خامسة تبقى. لكن يعارضه ما أخره محمد بن منصور والحاكم وصححه عن النعمان بن بشير قال: قمنا مع رسول الله ﷺ في رمضان ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتى ظننت أنا لا ندرك الفلاح وكنا نسميها ليلة الفلاح وأنتم تسمون السحور وأنتم تقولون ليلة سابعة ثلاث وعشر ونحن نقول ليلة سابعه سبع وعشرون أفنحن أصوب أم أنتم. قلت فكان الخلاف وقع بين الصحابة في سابعه تبقى.

وهذا الحديث يرجح أنها هي السبع والعشرون ويصحح أنها أقوى أحد السبعين على ما سبق ذكرهما في الحديث الأول.

وأخرج البخاري في تاريخه عن ابن عمرو سأل أصحاب النبي ﷺ عن ليلة القدر فقال ابن عباس: إن الله يحب السبع.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾[1].

وأخرج محمد بن منصور وابن جرير والطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا نبي الله أني شيخ كبير يشق عليّ القيام فمرني بليلة لعل الله أن يوفقني فيها ليلة القدر فقال عليك بالسابعة.

وأخرج البيهقي من طريق الأوزاعي عن عبيدة بن أبي لبابة قال: ذقت ماء البحر ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان فإذا هو عذب. قلت وصبيحة ليلة القدر أيضاً لها زيادة فضيلة على سائر الأزمنة.

كما يدل عليه ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي يحيى بن مرة قال: قال رسول الله ﷺ: طفت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فرأيت الملائكة في الهواجر[2] إلى البيت.

وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسين بن الجر قال: بلغني أن العمل في يوم القدر كالعمل في ليلتها.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عامر قال: يومها كليلتها وليلها كيومها.

وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً أربع لياليهن كأيامهن وأيامهن كلياليهن يبر الله فيها القسم ويعتق فيها القسم ويعطي فيهن الجزيل. ليلة القدر وصباحها، وليلة عرفة وصباحها ، وليلة النصف من شعبان وصباحها، وليلة

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٧ .

(٢) الهواجر: مفردها الهاجرة. والهاجرة على ما في القاموس شدة الحر ونصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها إلى العصر لأن الناس سيكونون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا.

الجمعة وصباحها.

قلت الظاهر أن الترتيب في فضلها ما رتب في عطفها.

وأخرج البيهقي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله فإذا كان يوم عيدهم باهى بهم ملائكته فقال: يا ملائكتي عبيدي وإمائي قضوا فريضتي عليهم ثم خرجوا يعجون إليّ بالدعاء فوعزتي وجلالي وكرمي وعلوي وارتفاعي مكاني أي مكانتي لأنجيهم فيقول ارجعوا فقد غفرت لكم وبدلت سيئاتكم حسنات فيرجعون مغفوراً لهم.

الفصل الثاني
ليلة القدر
وحكمة نزول الملائكة

قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[1].

قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[2]: أشار الله عز وجل إلى فضل القرآن العظيم في هذه الآية من ثلاثة أوجه:

أولاً: أنه أتى بالضمير الدال على الذات المقدسة بصيغة الجمع فقال . إنا . ولم يقل إني، وقال . أنزلناه . ولم يقل أنزلته.

ومعلوم لكل ذي عقل وروح، أن ذلك للتعظيم لا للتعدد ولا يُنزّل العظيم إلا العظيم.

ثانياً: أنه عبر عن المنزل بالضمير في مكان الإظهار إشارة إلى أنه غني عن البيان لشهرته وفضله وشرفه.

ثالثاً: أنه أنزل في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ولم يختر لإنزاله تلك الليلة، إلا لعظم قدره وسموه[3].

واختلف العلماء في ليلة القدر هل هي ليلة واحدة في الدهر كله أم هي متكررة في كل سنـــة، والحق أنها ليلة مخصوصة شرفها الله بنـــزول القرآن

---

(١) سورة القدر ، الآيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥ .

(٢) سورة القدر ، الآية: ١ .

(٣) أبو العزائم، محمد ماضي: صيام أهل المدينة المنورة (القاهرة: دار المدينة المنـــورة، ط٥، سنـــة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص: ٦١- ٦٢ .

فيها كما شرف بعض الأمكنة وبعض الليالي، كبيت الله الحرام وبيت المقدس وليلة الجمعة وشهر رمضان ، ولا يقال لماذا خص بعض المكان والزمان بالتشريف فإن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، كما أنه فضَّل بعض الناس على غيرهم وذلك لغير علة بل بمحض المنة والفضل، وجعلها متكررة رحمة بالأمة المحمدية، وذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتذاكرون في أخبار الغابرين من الأمم، فذكر لرسول الله ﷺ أن رجلاً من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتمنى ذلك لأمته. وقال: ٠ يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً ٠ ٠

وحزن الصحابة لذلك لما رأوا أن الرجل يعيش منهم خمسين أو ستين سنة يضيع أكثر من ثلاثة أرباعها، فإنهم يصرفون من اليوم ثمان ساعات نوماً وساعتين بين أكل وشرب وقضاء الحاجة وسبع ساعات على الأقل في الاشتغال بالدنيا، وساعتين بين لهو ولعب، فلم يبق إلا أوقات الصلاة وليتها تخلص لهم فإن الشيطان لا تخلو له الوسوسة في وقت ما كما تحلو في الصلاة، فينشغل قلب المصلي بالدنيا والخوف من الناس وحب الشهوات والملذات والنساء، حتى إذا قال الله أكبر قالت الملائكة كذبت فإن النقود في قلبك أكبر من الله أو النساء أو الأملاك أو الجنة أو مقعد الصدق، إذا كان مشتغلاً بها أو بغيرها، فحزن لذلك رسول الله ﷺ فأذهب الله حزنه لأنه هو الذي كرمه الله بقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[1]. فنزل جبريل وقال له: ٠ إن الله يبشرك بليلة القدر هي خير من ألف شهر، صرفها صاحبها في الجهاد في سبيله، ليس فيها ليلة القدر ٠ ٠

فسر رسول الله ﷺ إذ هي خصوصية للأمة المحمدية، فصار الرجل إذا

(١) سورة الضحى ، الآية: ٥ ٠

تساهل في السنة كلها، ثم جاء رمضان فصام وقام ليلة القدر بصلاة العشاء في جماعة، والفجر في جماعة، كتب له في هذه الليلة ثواب ألف شهر من الأمم الماضية، صرفت له في الطاعات، فإذا عاش خمسين سنة فكأنما عبد الله أكثر من أربعة آلاف سنة(١).

وورد في الحديث أن رسول الله ﷺ خرج ليخبر الناس بليلة القدر، فتلاحى رجلان، فرفعت. وأمرهم بالتماسها في العشر الأواخر من رمضان فإنها أخفيت فيها، ليقوم الناس العشر ليالي ليعظم أجرهم، وقال رسول الله ﷺ: ·وعسى أن يكون خيراً لكم··

ومن ذلك أن الدعاء فيها مستجاب وبعينها مضره، فقد يدعو الرجل على عدوه فيها فيستجاب له، وكم تفضل الله بنعمة على عباد خفيت عليهم في الدنيا فينالون أجرهم يوم القيامة، كما ستر أكثر الخيرات ليلة القدر لأنه جعل فيها من الأسرار مالا يكاشف به إلا عباده الذين زكى نفوسهم وجملها حتى صارت بيتاً للرب عز وجل واصطفاهم، وإن كان كاشف الناس ببعض أسرارها كنزول الملائكة والروح وكونها أمن وسلام(٢).

وأخفى أسراراً كثيرة أودعها قلوب أخصائه من طريق الإلهام فتجلى فيها عليهم ويرفع الحجب والأستار ويشهدهم أنواره ووجهه الجميل، مما لا تحوم حوله حماه العقول ولا الأوهام، وترتد بالحيرة على سور أنواره البصائر والأبصار. وإن في إخفاء تلك الأسرار من الحكم مالا يحصى له مقدار، وكم وهب الله هبة حجبها عن أناس حتى إذا كشف الحجاب يوم القيامة شاهدوا عظم رحمة الله بهم ونعمائه من حيث لا يشعرون·

وهنا ننبه القارئ إلى أن القدر بمعنى التقدير لما يبرز من العلم القديم ولك

---

(١) أبو العزائم، محمد ماضي: صيام أهل المدينة المنورة، ص: ٦٢- ٦٣ ·

(٢) المصدر السابق، ص: ٦٤- ٦٥ ·

أن تعـبر عن القدر بمدلوله وهو العظمة والعلو، ولك أن تقول القدر هو الضيق كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾[١].

والضيق هنا لنزول الملائكة بكثرة، فتضيق الأرض بهم فإنها بالنسبة إلى الشمس جزء من مليون تقريباً، فما بالك بالسموات السبع وما فيهن من الملائكة. ولا ينزلون دفعة واحدة ولكن طوائف طوائف. كما أن العالم الإسلامي من الحجاج يطوف كله بالبيت طائفة بعد طائفة ولو أرادوا الطواف جميعاً مرة واحدة لما وسعهم البيت[٢].

ونتسائل: ما الحكمة من نزول الملائكة ؟

والجواب: حكمة نزول الملائكة: تشريفهم بالمؤمنين، وتشريفهم المؤمنين.

وتفصيل هذا أن الله خلق الإنسان جامعاً لكل حقائق العوالم، ففيه الجماد لأنه مخلوق من الطين، وفيه النبات لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾[٣].

فهو كالشجرة يمشي على الأرض إلا أنها شجرة الله فالرأس جذع والعنق ساقها، والذراعان والفخذان أفرعها، وأصابع اليدين والرجلين أغصانها.

والإنسان حيوان من حيث الطعام والشراب والجماع والأخلاق البهيمية، ومن الناس من إذا غضب رفس كالحمار أو ضرب برأسه كالعجل، أو بطش بيده كالأسد أو بصق كالثعبان، حتى أن من الناس من إذا اشتد غضبه وبصق إلى العين أعماها، وإلى الفم قتل، وذلك لتسمم ريقه من شدة الغضب[٤].

وفي الإنسان النفس الملكية التي إذا صفت ملكت الجسم الصلصال، فصار طوعاً لها وصارت أخلاقه أخلاق الروح، وتبدلت الأوصاف الحيوانية بأوصاف النفـس الملكية فصار الجسم ملكاً بل خيـراً من الملائكة لأن ذلك

---

(١) سورة الفجر ، الآية: ١٦ .

(٢) أبو العزائم، محمد ماضي: صيام أهل المدينة المنورة، ص: ٦٥ .

(٣) سورة نوح، الآية: ١٧ .

(٤) أبو العزائم، محمد ماضي: صيام أهل المدينة المنورة، ص: ٦٦ .

الطيـــن وذاك الحيوان تخلص من الشواغـــل والملاهي والحجب والموانـــع والسجون والأغلال والقيود مع توفر الدواعي، واتحدت تلك القوى بالروح حتى صار الإنسان روحانياً، لديها هو خير أم الذي خلق مطبوعاً على الخير لتجرده من العناصر؟ وكيف لا وهو من النور! فالله يفاخر به ملائكته وكأنه يقول لهم انظروا إلى هذا الطين والماء المهين الذي جرى مجرى البول مرتين كيف كان قربه من الله، ومع ذلك لا يرى لنفسه عبادة ولا فضلاً، بل يشهد الفضل لله الذي وفقه للعبادة وفضلاً عن ذلك يرى نفسه مقصراً في حقه عز وجل فهذا خير أم من رأى لنفسه عملاً ؟

فقال تعالى: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[1].

فأي تسبيح لهم والله خلقهم وما يعملون[2] ؟

بالشرك والعياذ بالله، فالله يفاخر الملائكة بعباده، وهذا تشريف لهم وأرسل الملائكة إليهم بالسلام وذاك رسول شريف جاء من عند الملك العلام، وأي شرف أعظم من أن يرسل الله لعبده من يقرئه السلام، ومن الناس من يشهد الملائكة بعيني رأسه وذلك بنص كتاب الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3].

ونحن أتباعه كما قال: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[4].

فله في أبنائه وارثون ورثوه.

فالعلماء ورثة الأنبياء. وفضل الله ليس مقصوراً ولا محدوداً فإذا قويت النفس وصارت ملكية صار الجسد ملكياً والجوارح ملكية. فقبل أن ترى العين

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٣٠ .

(٢) أبو العزائم، محمد ماضي: صيام أهل المدينة المنورة، ص: ٦٦

(٣) سورة الأنعام ، الآية: ٧٥ .

(٤) سورة الحج ، الآية: ٧٨ .

المادة يسبقها القلب فيرى السر الساري فيها، والصفات الظاهرة والباطنة بها.
ولا يخطئ في حين أن العين تخطئ فيرى الشمس مثلاً صغيرة وهي أكبر من الأرض ألف ألف وثلاثمائة ألف مرة تقريباً، وترى الإصبع إذا وضع بجانبها أطول من المأذنة، وهذا من خطأ العين، وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز نزول الملائكة فلابد من أن تنزل فنرى بقلبنا نزولها وإن لم نره بعين البصر رؤية يقيينية[١].

ولابد أن نقف في موقف العلم الذي علمنا الله على لسان رسوله ﷺ، فإن العليم هو الله، ومن قال أنا غني عن العلم فقد كفر.

قال رسول الله ﷺ: "مجلس علم خير من عبادة سبعين سنة".

فقد يدخل العابد الخلوة ويتعبد السنين الطوال فيأتي إليه إبليس فيصيره أضل منه ويكفره، وذلك نتيجة الجهل ولو أنه سعى إلى عالم فثبت بالعلم يقينه ثم عبد الله ولو قليلاً لكان خيراً له.

ومما يحكى عن الجيلاني أنه بينما كان قائماً لله في جوف الليل فإذا بالسقف قد ارتفع وغمر بالنور، ونادى مناد: أي عبدي عبد القادر. فقال: لبيك سيدي. فقال: إني أبحت لك المعاصي. فقال: أخسأ يا ملعون. فقال: بما عرفت؟ فقال: إن الله لم يحرم حراماً على لسان نبي ويبيحه على لسان ولي[٢].

وقد أحكم الله شريعته على لسان رسوله. فقال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[٣].

ولذا ينبغي أن نتعلم حتى نعلم الله حق العلم فإن الملائكة كان لها معلم، وهو آدم. والعلم خير ما يسعى له.

---

(١) أبو العزائم، محمد ماضي: صيام أهل المدينة المنورة، ص: ٦٧ .

(٢) المصدر السابق، ص: ٦٧- ٦٨ .

(٣) سورة المائدة ، الآية: ٣ .

قال ﷺ: ‹ اطلبوا العلم ولو بالصين ›. وما ذاك إلا العلم الإلهي الذي ينتج المعرفة بالله، ولابد أن يكون السعي للعلم فقط لا لغيره، فمن الناس من يأتي العالم العارف لينبئه بما يحدث له، فإذا لم ينبئه تركه مدعياً أنه ليس بولي، وهذا جهل، فإن أسرار الغيب لا ينبغي أن تباح وما قدره الله علينا نراه، فلنقبل على معرفة الله سبحانه وتعالى فإنها خير لنا من الدنيا وما فيها، وما قدره الله لنا من الخير نناله ونحن في راحة مطمئنون، ففي السعي للعلم شرف عظيم، ولذا أرسل الله الملائكة إلى الأرض ليعلمهم أن لله أسراراً في خلقه وحكماً تخفى على كل حكيم[1].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[2].

وحتى يعلمهم أن قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[3].

كان اعتراضاً على حكمة الله وهو أيضاً من حكمة الله إذ أعقبه بعلمهم حكمة الخلافة في الأرض[4].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾[5].

استفهم الله سبحانه وتعالى عن ليلة القدر تعظيماً لها ليبينها لنا فإنه سبحانه ما قال في القرآن ما أدراك بصيغة الماضي إلا وفسر، وما جاء بصيغة المضارع ‹ وما يدريك › إلا وأبهم، وذلك ظناً بالغيب، فإن المضارع دال على الحال والاستقبال في حين أن الماضي يدل على ما حصل .

---

(١) أبو العزائم، محمد ماضي: صيام أهل المدينة المنورة، ص: ٦٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية: ٣٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية: ٣٠ .

(٤) أبو العزائم، محمد ماضي: صيام أهل المدينة المنورة، ص: ٦٩ .

(٥) سورة القدر ، الآية: ٢ .

وقوله تعالى: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾[1].

ليس فيها ليلة قدر[2].

وقوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾[3].

قد يعود الضمير فيها على الملائكة وقد يعود على ليلة القدر.

وقيل: الروح جبريل كما قال ﷺ: «إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل».

أو هو نوع من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا ليلة القدر، أو هو ملك عظيم ينزل في هذه الليلة بإذن ربهم.

وهذا تشريف من الله لهم إذ أنه جعل لهم شبه اختيار فلم يقل بأمر ربهم لأن الأمر دال على الجبر والقهر وليزوروا أحبابه. وتشريف لأحبابه أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿ مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾[3]. وفي قراءة: ﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُم ﴾[4]. أي فرد من الملائكة. سلام على المؤمنين، وعلى القراءة الأولى أي أمان من كل ما فيه سوء فيحفظ الله بعنايته من اجتباهم.

أو تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بكل ما يحدث في هذه السنة.

وقوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾[5].

أي أمان أو تسليم. وقد يكون الوقوف عليها والبدء بها. وقد يكون البدء ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾. بفتح اللام في مطلع فتدل على الزمان المعني إلى طلوع الفجر، وبالكسر للمكان أو يعم أمنها ورحمتها وتسليم الملائكة على المؤمنين في كل الأرض من المغرب إلى المشرق والله أعلم.

---

(١) سورة القدر، الآية: ٣.

(٢) أبو العزائم، محمد ماضي: صيام أهل المدينة المنورة، ص: ٦٩- ٧٠.

(٣) سورة القدر، الآية: ٤.

(٤) سورة النور، الآية: ١١. (٥) سورة القدر، الآية: ٥.

نعود فنقول: ليلة القدر محل لتنزلات الملائكة برحمة الله في الأرض.

تنزلات رحمة الله في الأرض هي بنواميس.. وبقوانين.. ولا يتعارض العقل أن يكون لكل ناموس أو لكل قانون نوع من الملائكة.. الملائكة خلق من خلق الله الغيبي.. كل قانون كالأرزاق وكالرحمة وكالموت له ملائكة. بدليل أن الله سبحانه وتعالى يقول عن الملائكة: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾[1]. أي أنه خلق الملائكة الغيبيين.. لكي يباشروا مهمة غيبية محدودة في الحياة.

ويمكن أن تكون ليلة القدر قد خصت بنزول القرآن فيها لأن الله سبحانه وتعالى قد خصها من قديم الزمان بأنها محل لتنزلاته إلى الأرض تنزل الأحكام إلى الملائكة ثم يباشرونها على امتداد العالم كله.

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[2]. الذي يدلنا على أن التنزلات في ليلة القدر شملت غير القرآن. قوله سبحانه وتعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾[3].

فالروح الأمين وهو جبريل تنزل بالقرآن والملائكة تنزلت لخير الله في الأرض. أي أن الملائكة لتنزلات أخرى غير القرآن ليباشر كل ملك مهمته في الناموس الذي خصه الله به.

وبعد ذلك قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[4].

معنى ذلك لا ينزل فيها إلا كل ما هو خير وكل ما هو سلام لأن تنزلات الله بالخير في نواميسه جاءت خيراً للناس في كل ما يتصل بحياتهم.

ولقد خص الحق تبارك وتعالى ليلة القدر بأمور منها نزول الملائكة والروح فيها.

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٥.

(٢) سورة القدر، الآية: ٥.

(٣) سورة القدر، الآية: ٤.

(٤) سورة القدر، الآية: ٥.

وقيل: المراد بالروح الرحمة كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾[1].

إذا قرئ بالضم كأنه تعالى: تنزل الملائكة فيها، ويتنزل معهم رحمتي فيحصل سعادة الدنيا والآخرة.

والأصح أن المراد بالروح جبريل عليه السلام وتخصيصه بالذكر مع كونه داخلاً في الملائكة لزيادة شرفه فإنه ينزل فيها وينزل معه الملائكة من كل سماء إلى سماء الدنيا. وقيل: إلى الأرض وهو الأظهر لأن مطلق النزول لا يفهم إلا النزول إلى الأرض مع أن الأحاديث تدل على أن الملائكة تتنزل مجالس العلم والذكر في أي يوم كان فنزولهم في هذه الليلة مع علو قدرها أولى.

لكن اختلفوا في سبب نزولهم إلى الأرض. فقال بعضهم أنه تعالى جعل فضل هذه الليلة في الاشتغال بالعبادة في الأرض فهم ينزلون إلى الأرض ليصير طاعتهم أكثر ثواباً فيكون المقصود من الأخبار بنزولهم ترغيب الناس في طلبها والعبادة فيها.

وقال بعضهم: أنهم يرون كثرة نزول رحمة الله تعالى على عباده المؤمنين فيها فينزلون إلى الأرض ليصيبهم الطيب منها.

وقال بعضهم: أنهم يسمعون أنين المذنبين فيقولون تعالوا نذهب إلى الأرض فنسمع صوتاً هو أحب إلى الله تعالى من تسبيحنا كما جاء في الحديث القدسي أنه تعالى قال: أنين المذنبين أحب إليّ من صوت المسبحين. وكيف لا يكون أحب ورجل المسبحين إظهار لكمال حال المطيعين وأنين المذنبين إظهار لغفارة رب العالمين.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

وقوله تعالى: ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[1]. يشيــر إلى أنهم يرغبــون فينا ويشتاقون إلينا فيستأذنون بالنزول إلينا فيؤذن لهم.

فإن قيل: كيف يرغبون فينا مع علمهم بكثرة ذنوبنا ؟

والجواب: أنهم لا يقفون على تفاصيل المعاصي. إذ روي أنهم يطالعون اللوح المحفوظ فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة وإذا وصلوا إلى معاصيه أرخى الله ستره فلا يرون منها فحينئذ يقولون سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح.

ثم إن من فسر الليلة المباركة الواقعة في سورة . الدخان . بليلة القدر يمكنه هاهنا أن يفسر كل أمر بما قدر لتلك السنة إلى قابل ولا يلزم المخالفة بين الآيتين.

وأما من فسرها بليلة النصف من شعبان كما ذهب إليه الأكثرون فيلزمه أن يقول تقدير كل أمر إلى قابل السنة يكون في ليلة النصف من شعبان وفي ليلة القدر ؟

والجواب: هاهنا ثلاثة أشياء:

الأول: نفس تقدير الأمور في الأحكام. أي تعيين مقاديرها وأوقاتها وذلك في الأول قبل خلق السموات والأرض.

والثاني: إظهار تلك المقادير للملائكة بأن يؤمروا أن ينظروا في اللوح المحفوظ فيقرؤها وذلك في ليلة النصف من شعبان.

والثالث: إثبات تلك المقادير في النسخ وتسليم تلك النسخ إلى أربابها من المدبرات فتدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل ونسخة الجنود والحروب والزلازل والصواعق والخسف إلى جبرائيل ونسخة الأعمال إلى إسرافيل ونسخة المصائب إلى عزرائيل وذلك في ليلة القدر.

---

(١) سورة القدر، الآية: ٤.

هذا ما لخصه بعض العلماء من مواضع متعددة والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم بحقيقة الحال.

وقوله تعالى ·سلام هي· تقديره ما هي إلا سلام على أن يكون هي مبتدأ وسلام خبره قدم عليه للحصر. وهو يجوز أن يكون بمعنى السلامة. وهذه الليلة ليس نفس السلامة بل هي ظرف لها لكنها وصفت بها للمبالغة في اشتمالها عليها فيكون المعنى أنه تعالى لا ينزل في هذه الليلة داءً ولا شيئاً من الشرور والآفات كالريح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما ينزله تعالى في هذه الليلة ليس إلا سلامة ونفعاً وخيراً ولا يستطيع الشيطان أن يصيب فيها أحد بسوء وضرب الفساد ولا ينفذ فيها سحر ساحر.

ويجوز أن يكون بمعنى التسليم.

قال الشعبي: وهو تسليم الملائكة في هذه الليلة على أهل المساجد من حين غيبوبة الشمس إلى طلوع الفجر.

وقيل: وإذا انفجر الصبح وأرادوا الرجوع يقول الله تعالى يا جبرائيل ليست هذه الليلة ليلة تخصيص امكثوا حتى يصلى الفجر فلعل من لم يحضر بأبناء الليلة يحضر الصلاة فسلموا عليه.

والحاصل أن الملائكة في ليلة القدر من غروب الشمس إلى طلوع الفجر يسلمون على المطيعين. ولذلك وصفت بأنها سلام مع أنها ليست نفس السلام بل زمانه إلا أنها لكثرة وقوع السلام فيها صارت كأنها نفس السلام.

وفي قوله تعالى ·حتى مطلع الفجر· يجوز أن يكون غاية لحكم التنزل وهو مكثهم في محل تنزلهم فيكون المعنى أن كل ملائكة كل سماء ينزلون في ليلة القدر إلى سماء الدنيا أو إلى الأرض فيمكثون في محل نزولهم إلى طلوع الفجر.

ويجوز أن يكون غاية لنفس التنزل فيكون المعنى أن ملائكة كل سماء

ينزلون في ليلة القدر إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض فوجاً فوجاً لا ينقطع نزولهم إلى طلوع الفجر.

وهذا المعنى إيراد نزولهم بلفظ التنزل يفيد التدريج في النزول ومده إلى طلوع الفجر.

ومن الناس من خص لفظ الملائكة ببعض فرق الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وأن سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى. فمقام جبرائيل عليه السلام في وسطها ليس فيها إلا أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين والمؤمنات ينزلون مع جبرائيل عليه السلام في ليلة القدر فلا يبقى بقعة من الأرض إلا وعليها ملك ساجد أو راكع أو قائم يعبدون الله تعالى ويدعون للمؤمنين والمؤمنات ولا يتركون بيتاً فيه مؤمن أو مؤمنة إلا ويدخلون فيه ويسلمون عليهم. وعلامة ذلك أن من اقشعر ورق قلبه ودمعت عيناه فإن ذلك سلام الملائكة عليه.

وقيل: إن ملكاً يذهب إلى النائم سبعين مرة رجاء أن يستيقظ فيبلغه السلام ولا يدخلون بيتاً فيه كلب ليس لصيد ولا لماشية ولا بيتاً فيه منكراً أو غير ذلك من آلات اللهو ولا بيتاً يهاون فيه الصلاة ولا بيتاً فيه عاق لوالده أو قاطع رحم أو مدمن خمر فإن الملائكة لا يدخلون هذه المواضع.

وفي بعض الأخبار إذا أتت ليلة القدر ينزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى ومنهم جبرائيل عليه السلام ومعه ألوية ينصب لواء منها على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء على المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يلقون مؤمناً إلا يسلمون عليه إلا مدمن خمر وآكل الربا أو قاطع الرحم أو عاقاً لوالده. فإذا طلع الفجر صعد جبرائيل عليه السلام مع الملائكة فيقفون يومهم ذلك بين السماء الدنيا والأرض مشتغلين بالدعاء والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات فإذا أمسوا يدخلون السماء ويجلسون حلقاً حلقاً فيجتمع

إليهم ملائكة السماء فيسألونهم عن رجل رجل وامرأة امرأة فيقولون ما فعل فلان وفلان وكيف وجدتم فلاناً وفلانا فيقولون وجدنا فلاناً قائماً وفلاناً راكعاً وفلاناً ساجداً وفلاناً ذاكراً فهم كذلك في ليلتهم ثم يصعدون إلى السماء الثانية وهكذا يفعلون حتى ينتهوا إلى سدرة المنتهى فتقول لهم السدرة يا سكاني حدثوني عن الناس فإني عليكم حقاً فإني أُحب من أَحب الله تعالى. ويروى أنهم يعدون لهم الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم يصل الخبر إلى الجنة فتقول الجنة اللهم عجلهم والملائكة وأهل السدرة يقولون آمين آمين.

الفصل الثالث

نزول القرآن الكريم في ليلة القـــدر

لحظات الزمان في دورة الفلك، كالرجال في سلسلة الإنسانية، الأصل فيهما التساوي، ما لم يحظ الزمان بحادث يخلده، والرجل بعمل جليل يظهر على يده فيرفعه عن مستوى أقرانه إلى مصاف العباقرة الخالدين، أو الزعماء والمصلحين، ممن بقى ذكرهم على الأيام، لا يزيده مر الدهور إلا شرفاً وفخراً، ولقد جرت سنة الله في خلقه أن الناس يعرفون للأيام التي تمخضت لهم عن حادث جليل، غير من جرى تاريخهم فأعزهم من بعد ذل، أو رفعهم من بعد خفض، أو جمع كلمتهم بعد إنحلال.

وإذا كان التقدير للأيام والرجال بمقدار ما حملت الأيام من حدث وما قدمت الرجال من أعمال، فأي تقديس وذكرى وتخليد لليلة القدر وقد حملت في تضاعيفها إنزال القرآن الكريم وإرسال محمد ﷺ رحمة للعالمين، فاقترنت آية الافتتاح ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[1]. بـــ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[2]. فنالت الفضيلتين القرآن والرسالة.

القرآن الكريم هو الكتاب المهيمن على جميع الكتب التي أنزلها الله من قبل على رسله ورسالة محمد ﷺ هي الرسالة الخاتمة التي وحد الله بها جميع الرسالات السابقة، وكانت أفضل نعم الله في الأولين والآخرين.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[3].

---

(١) سورة العلق ، الآية: ١ .

(٢) سورة المدثر ، الآيتان: ١- ٢ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية: ١٠٧ .

فكانت ليلة القدر صلة بين السماء والأرض قامت لله فيها الحجة البالغة ببقاء القرآن الكريم الذي شرفت هذه الليلة بإنزال أول قطره من غيثه ليكون لها ما بعدها من توالي إنزاله منجماً على حسب الحوادث إلى أن يتم بقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[١].

وحظيت بإرسال سيد الأولين والآخرين ومنقذ العالم وخاتم الرسل وسيدهم رسول الله ﷺ، فهي ليلة فاصلة فارقة بين الظلمات والنور. والحق والباطل. هي مبعث النور والعرفان، ومشرق الفلاح والهداية وفاتحة الخير والسعادة. وهي ليلة الدين الذي ارتضاه الله لعباده ورباهم عليه[٢].

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٣]. بما تنفست عنه من إنزال القرآن وإرسال محمد عليه الصلاة والسلام ذلك الفضل العظيم الذي هو أفضل نعم الله في هذا الوجود، فحادث ليلة القدر أعظم حادث في تاريخ الوجود كله، ومن ثمة رفع الله شأنها وجعلها خيراً من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر[٤].

وقد أمر المصطفى ﷺ بإحيائها بالذكر والطاعة وتلاوة القرآن ومدارسته شكراً لله تعالى على نعمته، ووعد من يقيمها بغفران ذنوبه، بل إن شهر رمضان إنما فضل على سائر الشهور لأنه ضم في نظم أيامه هذه الليلة المباركة الجديرة بالتقديس والابتهاج وأخلد الذكريات، وقد جعل الله من أخص خصائصها هذا الشهر الذي هو موسم الطاعات والتقرب إليه بأنواع البر

---

(١) سورة المائدة ، الآية: ٣ .

(٢) سيد حسن الشقرا: ليلة القدر، مقال منشور بمجلة الإسلام، العدد ٣٨، سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ص: ١١ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ١٩ .

(٤) سيد حسن الشقرا: ليلة القدر، مرجع سابق، ص: ١٢ .

والصلات، جعل من أخص العبادات فيها الصوم لتناسبه مع ذكرى ليلة القدر التي كانت صلة بين الأرض والسماء بنزول سفير الوحي جبريل عليه السلام على النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه معلناً إليه معنى النبوة والرسالة، ومفرغاً في صـــدره آية الفتح المبين وفاتحة الغيث العظيم: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1].

وما من شك في أن الصوم يناسب هذا المعنى لأنه انقطاع عن عالم الماديات الأرضية، واستشراق إلى عالم الروحانيات العلوية، فتقلد الشهر ميسم المجد والفخار لأنه ضم ليلة القدر التي هي خير من الدهر كله بما حباها الله من فضل ورحمات ويمن وبركات:

منها نزول القرآن مقروناً بإرســال محمد عليــه الصلاة والسلام، فلو أنصفت الإنسانية لاتخذت من ليلة القدر عيداً إنسانياً عالمياً يتوجونه بأقدس ما تعارفوه من أكاليل المجد والفخار، ويخلدون ذكراه بأسمى ما تخلد به نعم الله الرحمن الرحيم، الذي أرسل في هذه الليلة محمداً رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقذهم من ظلمات القرون المظلمة ويأخذ بأيديهم إلى صراط العزيز الحميد، وبيده القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم، ولم يفرط الله فيه من شئ يحتاجه الإنسان ما دامت الدنيا، فهو رسول السلام والأمن والخير والرحمات.

ليلة حظيت بذلك كله فما أجل وما أعظم[2].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾[3].

---

(1) سورة العلق ، الآيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥ .

(2) سيد حسن الشقرا: ليلة القدر، مرجع سابق، ص: ١٢ .

(3) سورة النور ، الآية: ٤٤ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[١].

وهنا نتجه بالقارئ الكريم إلى فقه الحديث، فالآن نتحدث قائلين:

قيامها: معناه: إحياؤها أو جزء منها بالعبادة كالصلاة وتلاوة القرآن ومدارسته، ولا يكفي صلاة العشاء والصبح في جماعة بل لابد من إحياء جزء من الليل طائعاً لله في عمل وبر. قال تعالى: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾[٢]. أي طائعين، فالاشتغال بالطاعة هو معنى قيام ليلة القدر، ومعنى إيماناً واحتساباً، أي تصديقاً بأنه حق وطاعة، يراد بها وجه الله تعالى مخلصاً له الدين يرجو من ورائها رحمة وغفران ذنب، فإن الله تعالى يعطيه ما هو أهله من الرحمات ويغفر له ما تقدم من السيئات، وهذا فضل من الله عظيم.

وليلة القدر من ليالي شهر رمضان بلا خلاف، ولكن هل هي ليلة بخصوصها كليلة السابع والعشرين التي جرى العمل على إحيائها رسمياً لكثرة الروايات الواردة فيها، أو هي ليلة منتقلة في ثنايا الشهر قد تكون في هذا العام ليلة الثالث والعشرين، وفي الذي بعده تكون ليلة الخامس والعشرين مثلاً ؟

خلاف بين العلماء، وأياما كان فلم تعلم بالضبط. أي ليلة هي بالتعيين بل هي دائرة في هذا الشهر كله حتى ينهض العباد لإحياء ليالي الشهر كله ترغيباً لهم في الطاعات، وشحذاً لهممهم على التسابق على الخيرات رحمة من الله وفضلاً.

وسميت ليلة القدر لعظم قدرها. وسموها مما أفاض الله على عباده فيها من أخلد النعم على جميع لحظات الزمان كله، فهي ليلة العظمة والشرف الرفيع وهي حافلة بنزول الملائكة من السماء والروح معهم بكل أمر فيه خير

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

وأمن وسلام حتى مطلع الفجر.

فالسعيد كل السعد من تعرض فيها لرحمة الله بالإيحاء[1].

والحمد لله لم يبق في الناس الآن رهين خرافات كان يرددها الدهماء في الزمان الماضي من أنها طاقة تفتح وينبعث منها نور أخضر ... الخ، ولهم في ذلك حكايات مضحكة لا يحفل بسماعها إلا الغفل والسذج من الناس وهي على حد التعبيــر الذي جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ * لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ * تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ * سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾[2].

فيا أخوة الإسلام انظروا ما خصكم الله به من الإنعام والإكرام وحياكم به من العطايا الجسام وشرفكم بنبي الرحمة ورسول الهدى ﷺ وأنقذكم ببركته من الردى فاستدركوا رحمة الله مواسم العمر فحادي الموت بالرحيل قد حدي واغتنموا ليلة القدر لعل أن تكتبوا في ديوان السعداء فإنها ليلة تفوق ليالي الدهر وهي خير من ألف شهر. ما دعا الله فيها داع إلا أجابه وبلغه أملاً ومقصداً ولا سأله سائل إلا أعطاه سؤاله وجاد عليه بالفضل والندى. فيا فوز من أحياها ويا سعادة عبد رآها لقد نال فخراً وسؤددا.

وفي صحيح الإسناد أنها تلتمس في ليالي الإفراد فاطلبوها تظفروا بحسن القبول ونيل المراد غداً. فيا أيها الضال عن طريق الهدى أما تخاف عاقبة الردي. أما سمعت الحادي وقد حدا. أما تسلك طريق رشدا أما تغنم ليالي القدر التي تجلوا عن قلبك الصدا.

أخبر الله سبحانه وتعالى في سورة - القدر - بأنه أنزل القرآن الكريم ليلة القدر، وقال في مفتتح سورة - الدخان - التي قصد في مفتتحها إلى ذكر الزمــن

---

(١) السيد حسن الشقرا: ليلة القدر، ص: ١٣.

(٢) سورة القدر، الآيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

الذي أنزل فيه القرآن: ﴿ حمٓ * وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ * أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ * رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[1].

هذه هي الآيات التي أشير فيها إلى زمن نزول القرآن الكريم، وإلى حكمة نزوله أيضاً .

إن الله سبحانه وتعالى أخبر في مفتتح سورة القدر والدخان أنه أنزل القرآن الكريم في الليلة التي سماها ليلة القدر، ووصفها بأنها مباركة، ومعلوم من تاريخ القرآن الكريم أنه أنزل على سيد المرسلين منجماً[2]. في ثلاث وعشرين سنة، تبتدئ من نزول الملك عليه في غراء حراء بأول سورة . إقرأ . وتنتهي باليوم الذي أنزل فيه على النبي ﷺ قوله تعالى:﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[3]. وكان ذلك اليوم يوم جمعة والنبي ﷺ واقف بعرفة في حجة الوداع، وكانت الآيات تنزل على النبي ﷺ في خلال تلك المدة، فكانت تنزل الآية والآيتان والخمس والعشر، وتنزل كل سورة من السور القصار دفعة واحدة، وكانت حكمة الله في تنزيله منجماً في هذه المدة أن يأخذ الناس بتعاليمه تدريجياً ليكون نموها في نفوسهم كنمو الكائنات الحية، ولتكون أشد استقراراً في قلوبهم، وأيسر عليهم في العمل، وتلك طريقة في تربية الأمم ليس لها نظير، وكانت الظروف الملابسة لتنزيله تقتضي نزوله منجماً، فقد كان المجتمع الإسلامي تحدث فيه وقائع تحتاج إلى بيان حكم الله فيها، وكان حدوثها في أزمنة متفرقة فكان من الضروري أن تنزل آيات القرآن مبينة لأحكام الله في أزمنة متفرقة أيضاً. وكان المسلمون تعرض لهم أحوال تدفعهم إلى سؤال النبي ﷺ

---

(1) سورة الدخان ، الآيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ .

(2) منجماً: مفرقاً إلى أجزاء.

(3) سورة المائدة ، الآية: ٣ .

عن حكم الله فيها، فكانت الآيات تنزل بالجواب عنها، وكان المشركون وغيرهم من الطوائف كاليهود يثيرون شبهاً بين المسلمين ليفتنوهم في دينهم، ويوجهون إلى النبي ﷺ أسئلة على سبيل التعنت والمكابرة واختبار نبوته، كما سألوه عن الروح وعن ذي القرنين وعن أصحاب الكهف، وقصة الخضر مع موسى إلى غير ذلك، فكان من الضروري أن تنزل آيات القرآن الكريم المفندة لشبههم، والرادة عليهم في أزمنة متفرقة أيضاً، وهكذا كانت الحكمة الإلهية والضرورة الحتمية مقتضية نزول القرآن الكريم منجماً في عصر الرسالة.

وإذا كان نزول القرآن الكريم منجماً طوال مدة الرسالة فما معنى:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[3].

ولقد أوضحنا في موضع آخر من هذا البحث أن المراد بإنزال القرآن في تلك الليلة إنزاله كله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

ومما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم، وكان الله تعالى ينزله على رسوله ﷺ بعضه في أثر بعض .. الخ. وقد روي ذلك بروايات مختلفة، ولكنْ الذي يقرأ آيات الدخان وآية البقرة يرى أن ما ذكره الله تعالى من حكمة إنزال القرآن يأبى حمل نزوله على هذا الوجه، فقد قال تعالى في سورة الدخان مبيناً حكمة التنزيل ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[4]. أي من شأننا إنذار

---

(١) سورة القدر، الآية: ١.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة الدخان، الآية: ٣.

البشر ليسلكوا سبيل الحق، ويتجنبوا طرق الباطل، وقد ذكرت هذه الجملة بعد قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾(١). لأنها علـــة لها، فكأنه يقـــول أنزلناه للإنذار، وأي إنذار يكون بالقرآن إذا كان المراد نزوله جملة إلى سماء الدنيا .

أليس من الواضح الجلي المعقول أن الإنذار لا يكون إلا بما ينزل على العباد، وتسمعه آذانهم، وتتدبره عقولهم، وإلا فكيف ينذرون بما هو في السماء ولم ينزل عليهم بعد، فالعلـــة تبعد أن يكون المراد بقوله:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾(١). أي إلى سماء الدنيا، وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾(٢) صريح في أنه ليس المراد إنزاله إلى سماء الدنيا لأنه لا يكون بهذا الاعتبار هدى للناس، وإنما تتحقق هدايته لما ينزل إليهم بالفعل، فالوجه الصحيح أن المراد بإنزاله في الآيات الثلاث ابتداء إنزاله كما روي عن الشعبي، ويكون المعنى إنا بدأنا نزول القرآن على رسولنا محمد ﷺ في ليلة القدر، وفي شهر رمضان، لأن من شأننا إنذار الناس لحملهم على الحق والهدى، فبدأنا بإنزال كتاب الحق والهدى إليهم في ليلة عظيمة القدر، جليلة الخطر، وفي شهر كريم رفيع المنزلة يعمره الناس بالطاعات والقربات، ومتى حملنا معنى الإنزال على هذا الوجه لم يبقى إشكال بين ظواهر الآيات الثلاث وبين ما هو معلوم قطعاً من نزول القرآن منجماً، وصح تعليل الإنزال بالإنذار، وزال كل لبس وإشكال .

وقد تبين من مجموع الآيات أن أول ما نزل من القرآن الكريم على النبي ﷺ كان في ليلة القدر، وتدل على أن أول آيات القرآن الكريم نزلت ليلاً لا نهاراً خلافاً لمن فهم غير ذلك .

---

(١) سورة الدخان ، الآية: ٣ .   (٢) سورة البقرة ، الآية: ١٨ .

وقد بين الله تعالى سبب الإنزال في آية الدخان بقوله ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[1].

أي أننا إذا خلقنا الإنسان نوعاً ممتازاً بطبعه، يخالف سائر الحيوان بفطرته، محتاجاً إلى التعليم والإرشاد بغريزته، قد كتبنا على أنفسنا أن نتعهده بالإنذار على ألسنة الرسل، فأنزلنا القرآن لإنذار الناس بما سيلاقون جزاء لأعمالهم، ولما تعقد عليه قلوبهم ثواباً أو عقاباً في حياة أخرى بعد هذه الحياة، ثم بين بركة الليلة التي أنزل فيها بقوله ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[2].

أي يفصل كل حكم من أحكام الدين، ولا يقرر فيها من الأحكام إلا ما كان حكيماً يقف عند الحق، ويبعد بك عن الباطل، وينصرف بك عما فيه شقاؤك وفناؤك، إلى ما فيه سعادتك وبقاؤك، ثم حقق له الصفة بقوله تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

أي إذا كان الأمر عند الحكيم العليم الذي من شأنه إرسال الرسل رحمة بعباده، وقد سمع توسل نبيه إليه في هدايتهم تكون الحكمة أوله وآخره وظاهره وباطنه.

وقد سمي الله تعالى الليلة التي نزل فيها القرآن ليلة القدر، إما بمعنى التقدير، لأن الله تعالى ابتدأ فيها تقدير دينه، وتحديد الخطة لنبيه ﷺ في دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا عليه، أو بمعنى العظمة والشرف، من قولهم فلان له قدر. أي له شرف وعظمة، لأن الله تعالى قد أعلى فيها منزلة نبيه ﷺ.

وصفوة القول في معنى الآية: إنا بدأنا نزول القرآن على نبينا في الليلة التي قدرنا فيها ديننا ورسمنا الخطة لرسولنا في دعوة الناس إلى الهدى والحق، والتي أعلنا فيها قدره وعظمناه وشرفناه بإرساله إلى الخلق داعياً

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٣.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٤.

(٣) سورة الدخان، الآيتان: ٥- ٦.

وهادياً، وكانت هذه الليلة هي التي نزل فيها جبريل على النبي ﷺ في غار حراء بالآيات الخمس من أول سورة - إقرأ - إلى قوله تعالى ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١).

بعد أن أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن بدأ نزول القرآن في ليلة القدر، أراد أن يبين عظمة الليلة في ذاتها، فضلاً عما وقع فيها من إنزال القرآن الكريم، فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾(٢). أي ما الذي يعلمك مبلغ شأنها، ونباهة أمرها، وفي هذا الاستفهام دلالة على أن عظم قدرها وعلو شأنها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يعلمه ولا يعلم به إلا علام الغيوب.

وقد بين عظم شأنها بقوله: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾(٣). لأنه مضى على الأمم آلاف من الشهور وهم يتخبطون في ظلمات الضلال، فليلة يسطع فيها نور الهدى خير من ألف شهر من شهورهم الأولى.

وقيل: إن خيريتها لأن ثواب العبادة فيها خير من ثواب العبادة في ألف شهر، ولا حرج على فضل الله تعالى، ثم إن عدد الألف قد يراد به حقيقته، وقد يكون ذكره لمجرد التكثير، كما في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٤). وكثيراً ما يراد بالأعداد في ذلك.

ثم استأنف لبيان بعض مزاياها بقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾(٥).

يخبر الله سبحانه وتعالى أن أول عهد النبي ﷺ بشهود الملائكة كان في تلك الليلة، فتنزلت من عالمها الروحاني الذي لا يحده حد، ولا يحيط به مقدار،

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٥.

(٢) سورة القدر، الآية: ٢.

(٣) سورة القدر، الآية: ٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٦.

(٥) سورة القدر، الآية: ٤.

حتى تمثلت لبصره ﷺ، وتنزل الروح المكلف بتبليغ الوحي عليه وهو جبريل عليه السلام. وكان تنزيل الملائكة والروح فيها على النبي ﷺ بإذن ربهم، لأن الملائكة لا تنزل لكل إنسان بل لمن أذن الله تنزلهم عليه.

وقوله تعالى: ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[1]: أي تنزلت بكل أمر أراد الله سبحانه وتعالى تنزلها به من أمور الأحكام، لأن الكلام في نزول القرآن والأحكام والرسالة لا في شئ غيره، وعلى هذا يكون قد عبر بالمضارع عن الماضي في قوله تعالى تنزل الملائكة لاستحضار صورة الماضي العجيبة في ذهن السامع وتصويرها له كأنها حاصلة الآن، ويجوز أن يكون المعنى أنه يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة ينزلون مع تنزيل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم الصادق في طلبه تعظيماً له، ويكون المراد بالروح على هذا الوجه ضرباً من الملائكة لا جبريل عليه السلام، لأنه لم يكن ينزل إلا على النبي ﷺ لتبليغه الوحي، ويكون المراد بقوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[1]. أي ينزلون بكل أمر من الأمور التي أراد الله تعالى أن ينفذوها لأنهم موكلون بأمور كثيرة، ثم قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[2].

فالكلام في ليلة القدر بنزول القرآن فيها، وتنزلت فيه الملائكة على النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي هذه الآية يخبرنا الحق تبارك وتعالى بأن ليلة القدر كانت ليلة سالمة من كل شر وأذى، وأخبر عنها بالسلام نفسه وهو الأمن والسلامة للمبالغة في أنها لم يشبها كدر، بل فرج الله فيها عن نبيه كل كربة، وفتح له فيها سبل الهداية والإرشاد، فأنا له بذلك ما كان يتطلع إليه الأيام والشهور الطوال.

---

(١) سورة القدر ، الآية: ٤ .

(٢) سورة القدر ، الآية: ٥ .

وصفوة القول، أن الله تعالى أخبرنا أنه بدأ نزول القرآن في ليلة القدر، وهي الليلة المباركة، وعظم شأن هذه الليلة بقوله ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[1].

ثم أخبرنا عن فضلها بأنها خير من ألف شهر، لأنها الليلة التي سطع فيها نور الهدى بإنزال أول آيات القرآن الكريم فيها، وإفاضة الرحمة الإلهية على العالم الإنساني بالفرقان الذي فرق بين عهود الضلال والهدى، وأخبرنا أن الملائكة تنزلت في تلك الليلة وتنزل فيها أيضاً الروح وهو جبريل الأمين على النبي ﷺ بكل أمر أراد الله سبحانه وتعالى أن يبلغه له، وكانت الليلة كلها سلاماً إلى مطلع الفجر، وفي هذه الليلة حدد الله سبحانه وتعالى لنبيه دعوة الناس إلى الحق، فليلة هذا شأنها، وذاك خطرها جدير بالناس إحياؤها بالعبادة، وهي وإن لم تكن معروفة على التعيين فيكفينا أنها من ليالي رمضان، فإذا أحييناها بالعبادة أحييناها يقيناً، وإذا كانت في العشر الأواخر من رمضان فما أجدرنا أن نشمر عن ساعد الجد في إحيائها.

ولقد أنزل القرآن الكريم في ليلة القدر من شهر رمضان وهي أفضل من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها إلى سماء الدنيا أو إلى الأرض حافين حول الخلق بإذن من أجل كل أمر قدر في تلك السنة. وسميت بذلك لشرفها، أو لتقدير الأمور فيها، كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾[2]. وإنزال القرآن فيها أي ابتداء إنزاله فيها.

وثمة أقوال لبعض أجلاء الصحابة تتحدث عن إنزال القرآن الكريم جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل به جبرل بعد ذلك على سيدنا محمد ﷺ منجماً في ثلاثة وعشرين عاماً بحسب المناسبات ، ونحن في هذه القضية من رأي الشيخ محمد عبده وتلميذه الفقيه

---

(٤) سورة القدر ، الآية: ٢ .

(٥) سورة الدخان ، الآية: ٤ .

الشـيخ رشـيد رضـا على ما جاء في تفسير المنار من أن ذلك من الأمور الغيبية التي نفوض علمها إلى الله عز وجل، ونقف عند حد القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[1].

والآية الواحدة من القرآن الكريم تسمى قرآناً، وقد تحدثت أكثر من آية على إنزال القرآن الكريم على قلب سيدنا محمد ﷺ قبل أن يكون القرآن كله قد نزل.

لقد عظم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ليلة القدر فذكرها في موضعين عظيمين:

قال تعالى: ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾[2].

وأكثر العلماء أشاروا على أنها ليلة القدر.

وبعض العلماء يقول إنَّ السفرة الكرام ابتدعوا في نسخ القرآن في الليلة الخامسة عشرة من شعبان ثم أتوا نسخه وأنزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر في رمضان.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[3].

فعظمها الله سبحانه وتعالى بنزول القرآن فيها، وبأنها خيرٌ من ألف شهر، وبأن الملائكة تنزل إلى الأرض للسلام على المصلين فيها، ويبين أن هذا الفضل العظيم يدوم حتى مطلع الفجر. ولم يعين لنا رسول الله ﷺ وقتها إلا بحالة لا تجعل العامل يحكم أنها ليلة كذا من الشهر ولكنه حصرها في الليالي الفردية من العشر الأواخر لينال العامل أجر إحياء تلك الليالي، ويفوز بقيامه في ليلة القدر ضمناً[4].

---

(١) سورة البروج ، الأيتان: ٢٢- ٢٣ .

(٢) سورة الدخان ، الأيات: ١، ٢، ٣ . (٣) سورة القدر ، الآية: ١ .

(٤) أبو العزائم، محمد ماضي: صيام أهل المدينة المنورة (القاهرة: دار المدينة المنورة، الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ص: ٥٩- ٦٠ .

وكان أئمة السلف يعتكفون تلك الليالي في المساجد اقتداءً بعمل رسول الله ﷺ، وكثيراً من العمال المخلصين يرون الملائكة بعيون أرواحهم عند صفائها من لوازم الجسد، لأنهم تشبهوا بصفات العالم الأعلى من الصيام والقيام والتسبيح، ومن تلاوة القرآن والذكر، وقد يرى بعض الحاضرين في المجلس الملائكة وغيره لا يراها لأن الرؤيا كانت بعيون الروح لا بعيون الرأس.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(١).

وسواء في الأجر من رأى الملائكة ومن لم يرهم إذا وفق لإحياء تلك الليلة، ورؤية الملائكة لأهل الصفا فضل يعجلهم الله لهم لا يقتضي نقص أجر العاملين، الذين لم يروا.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢).

ليلة القدر هي الليلة التي أنزل فيها القرآن.. والقرآن أزلي لأنه صفة من صفات الله سبحانه وتعالى.. ولذلك فإن القرآن الكريم نزل في هذه الليلة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليباشر مهمته بافعل ولا تفعل.

والمقصود بأنزلناه في ليلة القدر أبرزناه إلى الأرض. وما دامت الأحداث لها العناصر فحين نريد حدث نزول القرآن يقتضي مُنْزِلاً ويقتضي مُنْزَلاً عليه ويقتضي سبباً للإنزال. ويقتضي مكاناً للإنزال وزماناً للإنزال. فليلة القدر تعرضت لزمان الإنزال. لكن القرآن إذا نظرنا إليه وجدناه نزل ليلة القدر وفي غير ليلة القدر. لأنه نزل منجماً حسب الحوادث. ونزل ليلاً ونزل نهاراً.. ونزل في كل وقت من الأوقات.. ولكن الإنزال في ليلة القدر معناه إرادة الحق أن يبرز القرآن من كنزه الذي كان مكنوناً فيه إلى الأرض ليباشر مهمته في الوجود. من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.. وتنزيل القرآن منسوب

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.

إلى الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾[1].

ولكنه يأتي أيضاً منسوباً إلى جبريل.. نزل به الروح الأمين.. يبقى الذي نزل به الروح الأمين.. ولكن الذي أنزله هو الله سبحانه وتعالى.

إن مادة أنزل لم تستند إلا لله سبحانه وتعالى.. فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[2] أي أخرجناه من اللوح المحفوظ من عالم الغيب الذي كان مستوراً فيه ليباشر مهمته في الوجود.. وما دام قد أنزله في ليلة القدر.. والإنزال للقرآن.. يكون الإنزال ليس إلا للبلاغ وحده ولكن لكي يبتدئ القرآن مباشرة مهمته. وبذلك يكون ما قالوه من أنه نزل من اللوح المحفوظ إلى الدنيا ليباشر مهمته.. وبعد ذلك من الجائز أن يكون أول نجم فيه قد نزل في هذه الليلة.. والذي يجب أن نفهمه أن الله سبحانه وتعالى حين نسب القرآن إلى ذاته. والنزول به إلى جبريل.. معناه أن جبريل حمله كما هو كما أنزله الله إلى النبي ﷺ وأنه لم يجري فيه أي تعديل أو تبديل بل هو كما أنزله الله سبحانه وتعالى[3].

يبقى ليلة القدر الليلة التي أنزله فيها الله سبحانه وتعالى ليباشر مهمته في الوجود. أنزله إلى السماء الدنيا ليأخذ منه جبريل لينزله على محمد ﷺ.

لقد كان القرآن إلى أن أخذ منه جبريل في طي غيب الله. وبعد ذلك حين أوصله إلى رسول الله ﷺ كان في طي الغيب عن رسول الله ﷺ. ثم حين أخذه رسول الله ﷺ وأبلغه للناس كان في طي الغيب عنا.. فقول الله سبحانه وتعالى . إنا أنزلناه في ليلة القدر . يدل على معنى الإنزال ابتداء مباشرة القرآن مهمته في الوجود بافعل ولا تفعل.. وذلك بأن ينزل دفعة واحـــدة إلى

---

(1) سورة الإسراء ، الآية: ١٠٥ .

(2) سورة القدر ، الآية: ١ .

(3) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، ص: ٨٤ .

السماء الدنيا.. ثم ينزل به جبريل بعد ذلك منجماً حسب الحوادث.

والملاحظ هنا أن الضمير في قوله تعالى «إنا أنزلناه» ضمير جمع وفي المنزل هاء الغيبة. وإذا قرأت القرآن وجدت أن الحق سبحانه وتعالى في كل فعل يفعله يأتي بضمير الغيبة الجمع.. لأن الفعل يتطلب تكاتف صفات متعددة لله سبحانه وتعالى.. الحكمة والرحمة والقوة والعلم إلى آخره.. لكن الحق إذا تكلم عن الذات يتكلم بالإفراد فلم يقل سبحانه وتعالى نحن الله بل قال إنني أنا الله.. وفي هذه الحالة فهو يتكلم عن وحدانيته ولا شريك له.. ولكن عندما يتكلم عن حدث يتطلب عدة صفات مجتمعة.. فإنه يستخدم صفة الجمع «إنا أنزلناه».

إذن المُنزِل هو الله والمُنزَل هو القرآن والوقت الذي نزل فيه هو ليلة القدر.

نعود فنقول: إنَّ ليلة القدر ذات شأن عظيم. مادام القرآن قد نزل فيها.. والقرآن يحمل هدى الله للبشر جميعاً.. فيجب أن تكون محل حفاوة بما أنزل فيها[1].

والإنسان حين يحتفي بزمان.. يحتفي بما حدث في هذا الزمان.. فالزمان ليس ملحوظاً.. ولكن ما حدث في الزمان هو الملحوظ.. حين يحيى الإنسان ليلة القدر.. فهو لا يحييها إلا لأن الله كرمها لأنها كانت ميلاداً للقرآن فتكريمها تكريم للحدث الذي وقع فيها وهو القرآن.. ولا يكرم الإنسان حدثاً وقع في زمن إلا لأنه فرح بآثار هذا الحدث نفسه.. فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[2] معناه إبراز القرآن من اللوح المحفوظ الذي كان مستوراً فيه إلى الوجود ليباشر مهمته.

---

(١) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، ص: ٨٥- ٨٦.

(٢) سورة القدر، الآية: ١.

ليلة القدر أخذت القدر من جهتين.. التقدير والقدر.. ثم يفخم الله الليلـة بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[1].

ما أدراك.. أدري فعل ماض.. ومعناها: ما أحد أدراك بليلة القدر.. فكأنه لا أحد يعرف قدرها إلا الله سبحانه وتعالى.. فإذا أردت أن تعرف قدرها فاسمع من الله الفرق بين ما أدراك وما يدريك في القرآن[2].

فالقرآن الكريم حين يتكلم في أدراك أو يدريك لابد أن نلحظ شيئاً.. ما أدراك معناها أنه لم يوجد أحد قد أدرك قبل الآن.. ويدريك معناها أن أحداً لم يدرك في الماضي. وأن أحداً لن يدرك في المستقبل.. إذن ما يدريك لا يمكن أن يدريك أو يعرف.. إنما ما أدراك في الزمن الماضي.. معناها أن أحداً لم يخبرك بشيء عنها حتى الآن.. ولكن الله سيدريك الآن.. وهنا أدركه الله وقال: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ﴾[3].

فإذا قرأت في القرآن ما أدراك فاعلم أن الله سيدريك.. وإذا ما يدريك فاعلم أن ذلك من مكنونات الغيب.. ولا تقال هذه الكلمة.. وما أدراك ما ليلة القدر إلا إذا كان القدر عظيماً لا يمكن أن يستوعبه أحد باجتهاده أو بعلمه إلا الله. وهذا تفخيم لليلة القدر.. فكان الخير فيها أكثر مما يدركه البشر.. وإنما يدركه من اختارها لإنزال خير ما أنزل[4].

ثم يقول الله سبحانه وتعالى ·ليلة القدر خير من ألف شهر· هنا تفضيل الليلة على ألف شهر لابد أن نقف أمامه.. فمادامت ألف شهر والسنة اثنا عشر شهراً.. كأن الألف شهر فيها ثمانون عاماً. أي ثمانون ليلة قدر.. إذن هي خير من ألف شهر.. ولكن هل هي مفضلة على مكررها... أي أنه خلال

---

(١) سورة القدر ، الآية: ٢ ·

(٢) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، ص: ٨٦ ·

(٣) سورة القدر ، الآية: ٣ ·

(٤) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، ص: ٨٧ ·

الثمانون عاماً القادمة ستتكرر ليلة القدر ثمانين مرة فهل ليلة القدر التي نحن فيها الآن خير من ثمانين ليلة قدر قادمة.. ولماذا اختيرت الألف بالذات. لأن الله سبحانه وتعالى كان يخاطب العرب بعقولهم. وقد كان العرب يعتقدون أن الألف هي نهاية الأرقام.. ولذلك إذا زادوا عليها كرروا كذا ألف فلم يكونوا مثلاً يعرفون المليون أو البليون.. إذن الألف قمة العدد.. فكأن الله أراد أن يقول إن ليلة القدر خير من ألف شهر[1].

أي أنها خير من أضخم شئ يعرفون به مقياس الأعداد.. وإذن معناها أن ليلة القدر خير من الزمن كله مهما طال.

ونتساءل: لماذا كانت خير من ألف شهر ؟

والجواب: لقد سمع الرسول ﷺ أنَّ رجلاً حمل السيف في سبيل الله ألف سنة. فاستقصر عمر أمته.. فكأن الله أراد أن يبشره. فقال له عندكم ليلة لو أحسنتم القيام فيها والعبادة لله لأغنتكم عن ألف شهر. وألف شهر في حمل السيف في سبيل الله كما أوضحنا في أكثر من موضع من هذا البحث.

ويكون المعنى في ذلك أن الله سبحانه وتعالى عوض أمة محمد ﷺ في الزمن اليسير ما يتسع له ما أخذه غيرهم في الزمن الطويل.

هذا فيما يتعلق بماديات الحياة. وكذلك فيما يتعلق بمعنوياتها. فإن خير ما ينزل في هذه الليلة هو القرآن الكريم الذي وضع آخر منهج لحركة حياة الإنسان على الأرض. وما دام الأمر كذلك. فإذا استقبلنا ما نزل في هذه الليلة وجعلناه منهجاً في هذه الحياة ملأ الكون السلام والرحمة والبركة. فسلام ليلة القدر هو سلام لكل الأزمنة لا يختل السلام أبداً. السلام نزل في ليلة القدر لكن نحن الذين ننفذه أو لا ننفذه وبذلك يكون سلام ليلة القدر قد امتد لكل الأزمـان. وإذا أخذناه وعطلنا مهمته يكـون السلام قد نزل في ليلة القدر...

---

(١) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، ص: ٨٨.

ونحن الذيــن امتنعنا عن أن ننتفع بذلك السلام.

والمفروض أننا نمضي ليلة القدر في عبودية صادقة لله، فإذا أمضينا هذه الليلة ونحن نعبد الله حق عبادته كان معنى ذلك أننا كررنا الزمن الذي أنزل فيه ما نحب وهو القرآن.. المنهج الذي أوضح لنا صفاء العبودية للحق سبحانه وتعالى. احتفالنا بليلة القدر هو فرحتنا بتلك الليلة بما نزل فيها. ولا نفرح بما نزل فيها إلا إذا كانت آثار ما نزل فيها قد نضحت على نفوسنا صفاء وعلى سلوكنا تضرعاً. وهنا يتجلى الله سبحانه وتعالى .مادام عبدي قد فرح بمنهجي فرحاً جعله يكرم ليلة البداية في نزول هذا المنهج فليس له جزاء عندي إلا أن أغفر له..

والقرآن الكريم نزل في ليلة القدر. وفي آية أخرى قال الحق سبحانه وتعالى:﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾[1]. فالقرآن نزل في رمضان إذن لابد أن بداية الإنزال أو الإذن لمباشرة القرآن لمهمته في الكون.

ولكن ليلة القدر دائرة في الزمن بمعنى أنها مرت في كل يوم من أيام الزمن. وهذا ما أوضحناه في موضع آخر من هذا البحث.

قال سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ * لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ * تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ * سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾[2].

وهنا ينبغي أن ننبه أصحاب العقول المستنيرة أن الحق سبحانه وتعالى رفع شأن القرآن الكريم ومنزلته في هذه السورة بثلاثة أوجه:

الأول: اضماره الذي يؤذن بغاية شهرته التي تقوم مقام تصريحه في إرجاع الضمير إليه كأنه حاضر في جميع الأذهان.

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ١٨٥ .

(٢) سورة القدر ، الآيات: ١- ٥ .

والثاني: إسناد إنزاله إلى نون العظمة التي تنبئ عن كمال العناية.

والثالث: تفخيم وقت إنزاله حيث قال .وما أدراك ما ليلة القدر . . فإنه يدل على أن علو قدرها خارج عن إدراك المخلوقات كأنه قبلها يوجد شئ غيري يدريك ما هي يا محمد لا يدريها إلا علام الغيوب.

وهذا بيان لرفعة شأن القرآن على أبلغ وجه وآكده لكونه من باب إتيان الشيء بالشيء وتنوير الدعوة بالبرهان. ومن الجانب الآخر عندما حدثنا عن فخامة القرآن ذكر فخامته وقت إنزاله.

وهذا يوضح لنا أن وقت إنزاله تشرف بشرف نزول القرآن فيه. وأن فخامة شأنه سرت إلى الزمان الذي أنزل فيه.

فإن قيل: القرآن لم ينزل جملة واحدة في زمان واحد بل أنزل منجماً مفرقاً في زمان ممتد بين أوله وآخره ثلاث وعشرين سنة من بعثة النبي ﷺ إلى مضي سبيله إلى ربه فما وجه إنزاله في ليلة القدر ؟

فالجواب على هذا التساؤل نوضحه من وجوه:

الأول: أن المراد بإنزاله فيها ابتداء إنزاله في ليلة القدر على طريق التنجيم والتفريق على أن البعثة كانت في رمضان.

والثاني: أن السؤال إنما يرد لو كان المراد بإنزاله إنزاله إلى الأرض إلى الرسول ﷺ. فإن الذي كان منجماً مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة وليس كذلك بل المراد به ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة[1] أي ألقاه على الكتبة ليكتبوه ثم كان ينزل على النبي ﷺ منجماً على حسب المصالح. فعلى هذا كان الظاهر أن يقال إنما أنزلناه إلى السماء الدنيا لأن إطلاقه يوهم إنزاله إلى الأرض إلى الرسول ﷺ لكن لا ضير فيه

(١) السفرة: جمع سافر. والسافر بمعنى الكاتب من السفرة الكرام البررة وهم الملائكة في السماء الدنيا.

لأن إنزاله إلى السماء الدنيا بمنزلة إنزاله إلى الأرض من حيث أنه إذا شرع في أمر ليتمه لا محالة مع أن السماء الدنيا كالمشترك بيننا وبين الملائكة إذ هي لهم مسكن ولنا سقف وزينة فإنزال القرآن هناك كإنزاله هاهنا.

والثالث: أنَّ السؤال إنما يرد لو كان ليلة القدر ظرفاً للإنزال على معنى أنَّ الإنزال وقع في ذلك الزمان المعين وليس كذلك بل المعنى إنا أنزلناه في شأن ليلة القدر وبيان فضلها وشرفها.

وهذا المعنى لا ينافي كون الإنزال منجماً مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة. فعلى هذا الوجه كان الأنسب أن يجعل الضمير المقصود في أنزلناه كناية عن السورة التي هي جزء من القرآن الكريم لا عن الكل كأنه قيل إنا أنزلناه من القرآن الكريم هذا الجزء الذي هو هذه السورة في شأن ليلة القدر وبيان شرفها وفضلها. ثم أنه بعد تشويق النبي عليه الصلاة والسلام إلى درايتها بقوله تعالى . وما أدراك ما ليلة القدر . من حيث أنه يقرب من الوعد بأدائها بيّنها بقوله تعالى . ليلة القدر خير من ألف شهر . فإنه بيان إجمالي لشأنها إذ يحتمل أن يراد به أن نفس هذه الليلة خير من ألف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر على معنى أنها خير من ألف شهر ليس فيها هذه الليلة.

فإذا كانت نفسها خير من ألف شهر يكون الطاعة فيها خيراً من الطاعات كلها بألف شهر وكذا المعصية فيها يكون أكثر وبالاً من المعصية في ألف شهر ويجب الاحتراز عنها. كما أن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر.

ومن قال إنَّ فضلها لنزول القرآن فيها يقول أنها كانت مرة ثم انقطعت. والجمهور على أنها باقية متكررة في كل سنة مختصة برمضان لقوله تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ١٨٥ . (٢) سورة القدر ، الآية: ١ .

فمقتضى هذين النصين أن يكون ليلة القدر في رمضان ولا يلزم التناقض. ثم اختلفوا في تعيينها فقيل هي ليلة الأول من رمضان. وقيل هي ليلة سبع عشرة. وقيل هي ليلة تسع عشرة منه.

والصحيح أنها في العشر الأواخر منه.

إن من يمعن النظر في الآيات القرآنية يمكنه أن يستنبط من ذلك أن تنزيل القرآن الكريم مر بمرحلتين:

المرحلة الأولى: نزوله دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العـزة في سماء الدنيا.

قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[1].

هاتان الآيتان تفيدان أن القرآن الكريم كان موجوداً في اللوح المحفوظ، وفقاً لكيفية مخصوصة لا يعلمها إلا الله تعالى.

وليس لنا أن نسأل عن تلك الكيفية، ولا عن مبدأ وجودها.

فما علينا إلا أن نؤمن بذلك ونصدقه، وهذا من جملة الإيمان بالغيب الذي لا يؤمن به إلا المتقون[2].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، ثم قال الله تعالى للقلم قبل أن يخلق الخلق: - اكتب علمي في خلقي، فجرى ما هو كائن إلى يوم القيامة..

وكان هذا التنزيل في شهر رمضان – ليلة القدر، الموصوفة بأنها ليلة مباركة.

قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[3].

---

(١) سورة البروج ، الآيتان: ٢١- ٢٢ .

(٢) محمد سالم محيسن: تاريخ القرآن الكريم، ص: ٩ .   (٣) سورة البقرة ، الآية: ١٨٥ .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾[2].

فهذه الآيات الثلاث مجتمعة تفيد أن القرآن الكريم أنزل دفعة واحدة في شهر رمضان، في ليلة القدر، الموصوفة بأنها ليلة مباركة.

وهذا القول هو أصح الأقوال وأشهرها.

فقد أخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزل على رسول الله ﷺ بعضه في أثر بعض».

وأخرج الحاكم والبيهقي أيضاً، والنسائي عن «عكرمة» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة، ثم قرأ:

﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾[4].

وأخرج الحاكم، وابن أبي شيبة عن «سعيد بن جبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل القرآن فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ[5].

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ونزله جبريـــل على

---

(1) سورة القدر، الآية: 1.

(2) سورة الدخان، الآية: 3.

(3) سورة الفرقان، الآية: 33.

(4) سورة الإسراء، الآية: 106.

(5) محمد سالم محيسن: تاريخ القرآن الكريم، ص: 11.

محمد ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم.

فهذه الأحاديث كلها صحيحة كما ذكر السيوطي وهي موقوفة على ابن عباس غير أن لها حكم الأحاديث المرفوعة، ويصح الاحتجاج بها.

وقيل إن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1]. أنه ابتدى إنزال الوحي على النبي ﷺ في ليلة القدر، الموصوفة بأنها ليلة مباركة، وذلك في شهر رمضان، ثم نزل بعد ذلك منجماً، وبه قال الشعبي.

قال ابن حجر في شرح البخاري: "والأول هو الصحيح والمعتمد".

المرحلة الثانية: نزوله منجماً على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة خلال مدة بعثته ﷺ، موزعاً على الحوادث، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[3].

فهاتان الآيتان تدلان دلالة واضحة على أن القرآن الكريم لم ينزل على النبي ﷺ دفعة واحدة، وإنما نزل منجماً حسب الوقائع والأحداث.

---

(1) سورة القدر، الآية: 1.

(2) سورة الفرقان، الآية: 32.

(3) سورة الإسراء، الآية: 106.

نزول القرآن الكريم منجماً

دلت آيات كثيرة في القرآن الكريم على أنه نزل على رسول الله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

فهذه الآيات وغيرها تدل على نزول جبريل بالقرآن على قلب رسول الله ﷺ، وأن هذا النزول غير النزول الأول إلى السماء الدنيا. فالمراد به نزوله منجماً. ويدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال، على أن المقصود النزول على سبيل التدريج والتنجيم.

قال الراغب: والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة، أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً، مرة بعد أخرى، والإنزال عام، ثم استشهد بكثير من الآيات منها:

قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[6].

---

(١) سورة النحل ، الآية: ١٠٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية: ٢٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية: ٩٧ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية: ١٠٦ .

(٥) سورة الحجر ، الآية: ٩ .

(٦) سورة الدخان ، الآية: ٣ .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[1].

وجاء التصريح بنزوله مفرقاً في قوله تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾[2].

أي جعلنا نزوله مفرقاً كي تقرأه على الناس على مهل وتثبت، ونزلناه تنزيلاً بحسب الوقائع والأحداث.

والكتب السماوية الأخرى: التوراة والإنجيل والزبور، كان نزولها جملة، ولم تنزل مفرقة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[3]

فإن الكتب السابقة لو كان نزولها مفرقاً لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول القرآن منجماً.

فمعنى قولهم: . لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة . . هل أنزل عليه القرآن دفعة واحدة كسائر الكتب، وما له أنزل على التنجيم؟ ولم أنزل مفرقاً ؟ ولو يردّ الله عليهم بأن هذه سنته في إنزال الكتب، كما ردّ عليهم في قولهم: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾[4].

بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ ﴾[5].

وكما ردّ عليهم في قولهم: ﴿ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾[6].

بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ ﴾[7].

---

(١) سورة القدر ، الآية: ١ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية: ١٠٦ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية: ٣٢ .

(٤) سورة الفرقان ، الآية: ٧ .

(٥) سورة الفرقان ، الآية: ٢٠ .

(٦) سورة الإسراء ، الآية: ٩٤ .

(٧) سورة النحل ، الآية: ٤٣ .

بل أجابهم إلى بيان وجه الحكمة في تنزيل القرآن منجماً بقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[1].

أي كذلك أنزل مفرقاً لحكمة هي تقوية قلب رسول الله ﷺ . وقدرناه آية بعد آية.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

الحكمة من نزول القرآن الكريم منجماً

إن القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ مفرقاً خلال مدة بعثته عليه الصلاة والسلام.

ولعل السؤال الملح فيما نحن بصدده هو:

ما الحكمة من نزول القرآن منجماً ؟

هذا السؤال قد تولى الله سبحانه وتعالى الجواب عنه وأشار إليه بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[1].

وبقوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[2].

فهاتان الآيتان ترشد إلى الحكمة من نزول القرآن مفرقاً.

وإليك بعض الحكم والأسرار من ذلك:

الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ :

لقد وجه رسول الله ﷺ دعوته إلى الناس، فوجد منهم نفوراً وقسوة، وتصدى له قوم غلاظ الأكباد فطروا على الجفوة، وجبلوا على العناد، يتعرضون له بصنوف الأذى والعنت، مع رغبته الصادقة في إبلاغهم الخير الذي يحمله إليهم،

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

حتى قال الله فيه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[1]. فكان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ فترة بعد فترة، بما يثبت قلبه على الحق، ويشحذ عزمه للمضي قدماً في طريق دعوته، لا يبالي بظلمات الجهالة التي يواجهها من قومه، فإنها سحابة صيف عما قريب تنقشع.

يبين الله سبحانه وتعالى لنا سنته في الأنبياء السابقين الذين كُذبوا وأُوذوا فصبروا حتى جاءهم نصر الله، وأن قومه لم يكذبوه إلا علواً واستكباراً، فيجد عليه الصلاة والسلام في ذلك السنة الإلهية في موكب النبوة عبر التاريخ التي يتأسى بها تسرية له إزاء أذى قومه، وتكذيبهم له، وإعراضهم عنه.

قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾[3].

ويأمره القرآن بالصبر كما صبر الرسل من قبله. قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[4].

ويطمئن نفسه بما تكفل الله به من كفايته أمر المكذبين.

قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾[5].

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٦.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٣٣ – ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٤.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٥) سورة المزمل، الآيتان: ١٠ – ١١.

وهذا هو ما جاء في حكمه قصص الأنبياء بالقرآن.

قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[1].

وكلما اشتد ألم الرسول ﷺ لتكذيب قومه، ودخله الحزن لأذاهم نزل القرآن دعماً وتسرية له، يهدد المكذبين بأن الله يعلم أحوالهم، ويجازيهم على ما كان منهم.

قال تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[3].

كما يبشر الله سبحانه وتعالى بآيات المنعة والغلبة والنصر.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[6].

وهكذا كانت آيات الله من القرآن الكريم تتنزل على رسول الله ﷺ تسرية له بعد تسرية، وعزاءً بعد عزاء، حتى لا يأخذ منه الحزن مأخذه، ولا يستبد به الأسى، ولا يجد اليأس إلى نفسه سبيلاً، فله في قصص الأنبياء أسوة، وفي مصير المكذبين سلوى، وفي العدة بالنصر بشرى، وكلما عرض له شئ من الحزن بمقتضى الطبع البشري تكررت التسرية، فثبت قلبه على دعوته، واطمأن إلى النصر.

وهذه الحكمة هي التي ردَّ الله بها على اعتراض الكفار في تنجيم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[7].

قال أبو شامة: فإن قيل: ما السر في نزوله منجماً ؟ وهلا أنزل كسائر

---

(١) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة يس، الآية: ٧٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٦٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٣.

(٦) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

(٧) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

الكتب جملة؟ قلنا: هذا سؤال تولى الله تعالى جوابه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾(١).

يعنون: كما أنزل على من قبله من الرسل، فأجابهم بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾. أي أنزلناه مفرقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾(١). أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل(٢).

وتثبيت فؤاد النبي ﷺ، وتقوية قلبه كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾(٣).

وذلك من وجوه خمسة:

الوجه الأول: إن في تجدد الوحي وتكرار نزول الملك به من جانب الله تعالى إلى رسوله عليه الصلاة والسلام، سروراً يملأ قلب رسول الله ﷺ، وغبطة تشرح صدره.

وكلاهما يتجدد عليه بسبب ما يشعر به من هذه العناية الإلهية، وتعهد مولاه إياها في كل نوبة من نوبات هذا النزول.

الوجه الثاني: إن في التنجيم تيسيراً من الله تعالى في حفظ القرآن وفهمه، ومعرفة أحكامه وحكمه، وذلك مطمئن للنبي ﷺ. كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله.

الوجه الثالث: إن في كل مرة من مرات النزول المنجم معجزة جديدة له

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٢) مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، ص: ٤٧- ٥٠.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

ﷺ. حيث كان عليه الصلاة والسلام يتحدى المعاندين والمعارضين كل مرة أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فظهر عجزهم عن المعارضة، وثبت صدقه عليه الصلاة والسلام، وهذا بلا ريب فيه تثبيت لقلب النبي ﷺ.

الوجه الرابع: إن في تأييد النبي ﷺ، ودحض أباطيل أعدائه، المرة بعد الأخرى، تكرار لتثبيت فؤاد النبي ﷺ.

الوجه الخامس: تعهد الله نبيه ﷺ عند اشتداد الخصومة بينه وبين أعدائه بما يهون عليه هذه الشدائد، ولا ريب أن تلك الشدائد تحدث في أوقات متعددة.

فلا جرم كانت التسرية تحدث هي الأخرى في مرات متكافئة. فكلما أحرجه خصمه، سراه ربه[1].

وتجيئ تلك التسرية عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين السابقين كما قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[2].

وتارة تكون بالتسرية عن طريق وعد الله لرسوله بالنصر والتأييد والحفظ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[4].

وتارة تكون التسرية عن طريق إنذار أعدائه كما في قوله تعالى:﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[6].

---

(1) محمد سالم محيسن: تاريخ القرآن الكريم، ص: ١٣- ١٤ .
(2) سورة هود ، الآية: ١٢٠ .
(3) سورة الطور ، الآية: ٤٨ .
(4) سورة المائدة ، الآية: ٦٧ .
(5) سورة القمر ، الآية: ٤٥ .
(6) سورة فصلت ، الآية: ١٣ .

وتارة ترد التسلية في صورة الأمر بالصبر، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[١].

وتارة تكون في صورة النهى عن التفجيع والحزن على عدم إيمانهم، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[٣].

ومنها أن يؤيسه ﷺ من إيمانهم ليستريح ويتسلى منهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٤].

الحكمة الثانية: التحدي والاعجاز :

فالمشركون تمادوا في غيهم، وبالغوا في عتوهم، وكانوا يسألون أسئلة تعجيز وتحد يمتحنون بها رسول الله ﷺ في نبوته، ويسوقون له من ذلك كل عجيب من باطلهم، كعلم الساعة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾[٥]. واستعجال العذاب ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾[٦]. فينزل القرآن بما يبين وجه الحق لهم، ومما هو أوضح معنى في مؤدى أسئلتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[٧]. أي لا يأتونك بسؤال عجيب من

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥ .

(٢) سورة فاطر، الآية: ٨ .

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٧ .

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٥ .

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧ .

(٦) سورة الحج، الآية: ٤٧ .

(٧) سورة الفرقان، الآية: ٣٢ .

أسئلتهم الباطلة إلا أتيناك نحن بالجواب الحق، وبما هو أحسن معنى من تلك الأسئلة التي هي مثل من البطلان.

وحيث عجبوا من نزول القرآن منجماً بين الله لهم الحق في ذلك، فإن تحديهم به مفرقاً مع عجزهم عن الإتيان بمثله أدخل في الإعجاز، وأبلغ في الحجة من أن ينزل جملة ويقال لهم: جيئوا بمثله، ولهذا جاءت الآية عقب اعتراضهم «لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة». أي لا يأتونك بصفة عجيبة يطلبونها كنزول القرآن جملة؛ إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك من حكمتنا وبما هو أبين معنى في إعجازهم، وذلك بنزوله مفرقاً، ويشير إلى هذه الحكمة ما جاء ببعض الروايات في حديث ابن عباس عن نزول القرآن «فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً».

الحكمة الثالثة : تيسير حفظه وفهمه :

لقد أنزل القرآن الكريم على أمة أمية لا تعرف القراءة ولا الكتابة، سجلُها ذاكره حافظه، ليس لها دراية بالكتابة والتدوين حتى تكتب وتدون، ثم تحفظ وتفهم.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

فما كان للأمة الأمية أن تحفظ القرآن كله بيسر لو أنزل جملة واحدة، وأن تفهم معانيه وتتدبر آياته، فكان نزوله مفرقاً خير عون لها على حفظه في صدورها وفهم آياته، كلما نزلت الآية أو الآيات حفظها الصحابة، وتدبروا معانيها، ووقفوا عند أحكامها، واستمر هذا منهجاً للتعليم في حياة التابعين، عن أبي نضرة، قال: «كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

آيات بالغداة، وخمس آيات بالعشي، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات.[1].

وعن خالد بن دينار قال: قال لنا أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً[2].

وعن عمر قال: تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فإن جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً.[3].

الحكمة الرابعة: مسايرة الحوادث والتدرج في التشريع:

التدرج في تربية الأمة الإسلامية التي لا زالت ناشئة، ويندرج تحت ذلك الأمور السبعة التالية:

الأمر الأول: تيسير حفظ القرآن لأن ظروفهم كانت لا تمكنهم من ذلك لو نزل عليهم جملة واحدة.

الأمر الثاني: التدرج بالأمة في فهم القرآن، ونزوله منجماً يسهل عليهم ذلك حيث يتمكنوا من استيعابه.

الأمر الثالث: التدرج في تكليفهم بالواجبات من الصلاة والصيام والجهاد وغير ذلك من سائر أنواع العبادات والمعاملات.

الأمر الرابع: التدرج بهم في تطهيرهم من العقائد الباطلة مثل الشرك بالله تعالى وجحود البعث، وإنكار أن يكون لله رسول من البشر.

الأمر الخامس: التدرج بهم في تطهيرهم من العادات القبيحة التي توارثوها، ودرجوا عليها وتأصلت في نفوسهم، حيث كان من المتعذر عليهم تركها مرة واحدة. وذلك مثل: شرب الخمر وأكل الربا ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه ابن عساكر.

(٢) أخرجه البيهقي.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

الأمر السادس: التدرج بهم في تكميلهم بالعادات الحميدة، والفضائل الكريمة. مثل الصفح والحلم والإيثار ورعاية الجوار، إلى غير ذلك[1].

ولهذا نجد القرآن الكريم قد بدأ بفطامهم عن الشرك والإباحة، وإحياء قلوبهم بعقائد التوحيد والجزاء، من جراء ما فتح عيونهم عليه من أدلة التوحيد، وبراهين البعث بعد الموت وحجج الحساب والمسئولية والجزاء.

ثم نجد القرآن قد انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات، فبدأهم بفريضة الصلاة قبل الهجرة النبوية. ثم ثنى بالزكاة والصوم في السنة الثانية من الهجرة. وختم بالحج في السنة السادسة منها. وكذلك كان شأنه في سائر العبادات: نجده قد زجرهم عن الكبائر، وشدد عليهم النكير فيها، ثم نهاهم عن الصغائر في شئ من الرفق، ثم تدرج بهم في تحريم ما كان مستأصلاً فيهم، مثل شرب الخمر تدرجاً حقق الغاية، وأنقذهم من شرها في النهاية[2].

وكان القرآن في انتهاج هذا التدرج أهدى سبيلاً وأنجح تشريعاً.

الأمر السابع: تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين بسبب ما وعد الله به عباده الصالحين من النصر والتأييد والتمكين. كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3].

فما كان الناس ليسلس قيادهم طفرة للدين الجديد لولا أن القرآن عالجهم بحكمة، وأعطاهم من دوائه الناجح جرعات يستطبون بها من الفساد والرذيلة،

---

(١) محمد سالم محيسن: تاريخ القرآن الكريم، ص: ١٧ – ١٨.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٨.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٥.

وكلما حدثت حادثة بينهم نزل الحكم فيها يجلى لهم صبحها، ويرشدهم إلى الهدى، ويضع لهم أصول التشريع حسب المقتضيات أصلاً بعد آخر، فكان هذا طباً لقلوبهم.

لقد كان القرآن الكريم بادئ ذي بدء يتناول أصول الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار، ويقيم على ذلك الحجج والبراهين، حتى يستأصل من نفوس المشركين العقائد الوثنية ويغرس فيها عقيدة الإسلام.

وكان يأمر بمحاسن الأخلاق التي تزكو بها النفس ويستقيم عوجها، وينهي عن الفحشاء والمنكر لتقتلع جذور الفساد والشر. ويبين قواعد الحلال والحرام التي تقوم عليها صرح الدين، وترسو دعائمه في المطاعم والمشارب والأموال والأعراض والدماء[1].

ثم تدرج التشريع بالأمة في علاج ما تأصل في النفوس من أمراض اجتماعية بعد أن شرع لهم من فرائض الدين وأركان الإسلام ما يجعل قلوبهم عامرة بالإيمان خالصة لله، تعبده وحده لا شريك له.

كما كان القرآن يتنزل وفق الحوادث التي تمر بالمسلمين في جهادهم الطويل لإعلاء كلمة الله.

ولهذا كله أدلته من نصوص القرآن الكريم إذا تتبعنا مكيه ومدنيه وقواعد تشريعه.

ففي مكة شرعت الصلاة، وشرع الأصل العام للزكاة مقارناً بالربا[2].

قال تعالى:﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟

---

(1) مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، ص: ٥٢.

(2) المرجع السابق، ص: ٥٢ – ٥٣.

فِىٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾(١).

ونزلت سورة الأنعام وهي مكية تبين أصول الإيمان، وأدلة التوحيد، وتندد بالشرك والمشركين وتوضح ما يحل وما يحرم من المطاعم، وتدعو إلى صيانة حرمات الأموال والدماء والأعراض.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ * وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢).

ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾(٣). فقارنت الآية بين منافع الخمر فيما يصدر عن شربها من طرب ونشوة أو يترتب على الاتجار بها من ربح، ومضارها من إثم تعاطيها وما ينشأ عنه من ضرر في الجسم، وفساد في العقل، وضياع للمال وإثارة لبواعث الفجور والعصيان، ونفرت الآية منها بترجيح المضار على المنافع.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ

---

(١) سورة الروم، الآيتان: ٣٨ – ٣٩.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٥١ – ١٥٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

﴿ سُكَـٰرَىٰ ﴾[1]. فاقتضى هذا الامتناع عن شرب الخمر من الأوقات التي يستمر تأثيرها إلى وقت الصلاة، حيث جاء النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر حتى يزول عنهم أثره، ويعلموا ما يقولونه في صلاتهم[2].

ثم نزل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[3]. فكان هذا تحريماً قاطعاً للخمر في الأوقات كلها.

وتوضح هذه الحكمة ما روي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: . إنما نزول أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شئ: (ولا تشربوا الخمر). لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل (لا تزنوا) لقالوا: لا ندع الزنا أبداً ..

وهكذا كان التدرج في تربية الأمة وفق ما يمر بها من أحداث، فقد استشار رسول الله ﷺ صحابته من أسرى بدر، فقال عمر: اضرب أعناقهم، وقال أبو بكر: نري أن نعفو عنهم وأن نقبل منهم الفداء، وأخذ رسول الله ﷺ برأي أبي بكر. فنزل قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[4].

---

(1) سورة النساء ، الآية: ٤٣ .

(2) مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، ص: ٥٤ – ٥٥ .

(3) سورة المائدة ، الآيتان: ٩٠ – ٩١ .

(4) سورة الأنفال ، الآيتان: ٦٧ – ٦٨ .

وأعجب المسلمون بكثرتهم يوم حنين حتى قال رجل: لن نغلب من قلة، فتلقوا درساً قاسياً في ذلك. ونزل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

ولما توفي عبد الله بن أبي ـ رأس المنافقين ـ دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام عليه، فلما وقف قال عمر: أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل كذا وكذا، والقائل كذا وكذا ؟ يعدد أيامه، ورسول الله ﷺ يبتسم، ثم قال له إني قد خيرت، وقد قيل لي: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ ﴾(٢).

فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها، ثم صلى عليه رسول الله ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه، قال عمر: فعجبت لي ولجرأتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم. فو الله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۞ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾(٣).

فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعد حتى قبضه الله عز وجل(٤).

---

(١) سورة التوبة ، الآيات: ٢٥، ٢٦، ٢٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية: ٨٠ .

(٣) سورة التوبة ، الآيتان: ٨٤، ٨٥ .

(٤) أخرجه البخاري وأحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

وحين تخلف نفر من المؤمنين الصادقين في غزوة تبوك، وأقاموا بالمدينة، ولم يجد رسول الله ﷺ لديهم عذراً هجرهم وقاطعهم حتى ضاقوا نرعاً بالحياة، ثم نزل القرآن لقبول توبتهم.

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١).

ويشير إلى هذا ما روي عن ابن عباس في نزول القرآن: «ونزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم»(٢).

الحكمة الخامسة: مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها:

هذه الحكمة توضح أنه كلما جد جديد نزل القرآن ما يناسبه، وفصل الله لهم من أحكامه ما يوافقه. وتنتظم هذه الحكمة من خمسة أمور وهي:

أولاً: إجابة السائلين عن أسئلتهم عندما يوجهونها إلى الرسول ﷺ. سواء أكانت تلك الأسئلة لغرض التثبيت من رسالته، كما قال الله تعالى في جواب سؤاله أعدائه إياه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١١٧ - ١١٨.

وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، والثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وكلهم من الأنصار.

(٢) أخرجه الطبراني والبزار عن ابن عباس - وأخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾[1].

إلى آخر الآيات في هذا الموضوع من سورة الكهف.

أم كانت الأسئلة لغرض التنور ومعرفة حكم جديد من أحكام الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾[3].

ومما لاشك فيه أن تلك الأسئلة كانت توجه إلى النبي ﷺ في أوقات مختلفة. فهذا سبب واضح من أسباب تفريق النزول.

ثانياً: مجاراة الأقضية والوقائع في حينها ببيان حكم الله تعالى فيها عند حدوثها ووقوعها.

ومعلوم أن تلك الأقضية والوقائع لم تقع جملة واحدة، بل وقعت في أوقات متغايرة ومتعددة.

فلا مناص إذن من فضل الله تعالى فيها بنزول القرآن الكريم.

والأمثلة على ذلك متعددة وكثيرة فمنها:

(١) حادثة مرثد الغنوى الذي أرسله النبي ﷺ إلى مكة ليخرج منها قوماً مسلمين مستضعفين، فلما وصل إليهم عرضت امرأة مشركة نفسها عليه وكانت ذات مال وجمال فأعرض عنها خوفاً من الله تعالى، ثم أقبلت عليه تريد زواجه منها فقبل، ووقف زواجه على إذن رسول الله ﷺ، فلما قدم المدينة عرض قضيته على رسول الله ﷺ وطلب إجازة ذلك النكاح، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ﴾[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٢) حادثة " الوليد بن عقبة " آخي ٠عثمان بن عفان٠ لأمه حين بعثه النبي ﷺ إلى ٠بنى المصطلق٠ ليأخذ صدقاتهم وكان بينه وبينهم محن وعداوات، فلما سمعوا به استقبلوه، فحسب أنهم مقاتلوه فرجع إلى المدينة وقال للرسول ﷺ: إنهم ارتدوا ومنعوا الزكاة، فهم الرسول بقتالهم، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[1].

(٣) ومنها حادثة ٠خولة بنت ثعلب٠ التي ظاهر منها زوجها ٠أوس بن الصامت٠ ثم ندم على ما فعل، وقال: ما أظنك إلا قد حرمت علي، فشق ذلك عليها فأتت رسول الله ﷺ وشكت إليه وقالت: ٠يا رسول الله إن لي منه صبية صغاراً، إن ضممتهم إليَّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا٠٠

فقال ﷺ: ٠ما أراك إلا قد حرمت عليه٠٠

فاستقبلت السماء تشكو إلى الله تعالى. فنزل قوله تعالى:

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾[2].

(٤) حادثة الإفك: وفيها اتهام المثل الأعلى للطهر والنزاهة ٠أم المؤمنين عائشة الصديقة٠٠ وفيها نزلت الآيات من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾[3]. إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[4].

(٥) حادثة عويمر العجلاني وامرأته ، وحادثة هلال بن أمية وامرأته،

---

(١) سورة الحجرات ، الآية: ٦ ٠

(٢) سورة المجادلة ، الآية: ١ ٠

(٣) سورة النور ، الآية: ١١ ٠

(٤) سورة النور ، الآية: ٢٦ ٠

اللتان كانتا سببا في نزول آيات اللعان، وهي قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1].

إلى آخر هذه الآيات.

(٦) ومنها حادثة فتنة اليهود التي أثاروها عندما حولت القبلة من جهة بيت المقدس، إلى جهة المسجد الحرام.

وكان ذلك بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بسبعة عشر شهراً تقريباً، فنزلت الآيات من قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ ﴾[2].

إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3].

ثالثاً: الشبه الذي كانت تختلج في صدور المشركين، ومن أمثلتها والرد عليها ما حكاه الله عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۞ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[4].

إلى قوله تعالى: ﴿ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[5].

رابعاً: لفت أنظار المسلمين إلى أغلاطهم، وردهم إلى الصواب. وذلك نحو الآيات المتعلقة بغزوة «أحد» قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ ﴾[6]. إلى آخر الآيات[7].

---

(١) سورة النور، الآية: ٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٠.

(٤) سورة الفرقان، الآيتان: ٤- ٥.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٩.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢. (٧) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

ونحـو الآيات المتعلقة بغزوة حنيـن، في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴾[1].

إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

وهذه الآيات تنعي على المسلمين ثقتهم بأنفسهم، واعتزازهم بقوتهم، وتذكرهم بنعم الله عليهم، بإنزال الطمأنينة والأمن في قلوبهم، وإنزال الملائكة لنصرتهم ثم تهيب بهم أن يثوبوا إلى رشدهم، ويرجعوا لربهم.

ومن ذلك: موقف المسلمين إزاء أسرى - بدر - وقبولهم الفداء وإطلاق سراحهم. ثم عتاب الله لهم على هذا التصرف، وإرشادهم إلى المحجة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[3].

إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

وهذه الآيات تؤنبهم على إيثار الدنيا على الآخرة، وترشدهم إلى ما كان يجب أن يعمل.

خامساً: كشف حال المنافقين، وهتك أسرارهم للنبي ﷺ والمسلمين[5].

وسورة التوبة مفعمة بالآيات الشديدة اللهجة في التشنيع على المنافقين، والتشهير بهم، وسرد مثالبهم، وتعداد قبائحهم[6].

وفي القرآن الكريم ـ غير ما في سورة التوبة ـ كثير من الآيات التي فضح الله بها سرائر المنافقين، وأطلع المسلمين على دسائسهم، وإفسادهم، ليكونوا دائماً على حذر منهم فيأمنوا شرهم، لأنهم أخطر على الإسلام من الكفار المجاهرين.

---

(1) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

(2) سورة التوبة، الآية: ٢٧.

(3) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(4) سورة الأنفال، الآية: ٦٩.

(5) محمد سالم محيسن: تاريخ القرآن الكريم، ص: ٢٤.

(6) المرجع السابق، ص: ٢٥.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

هذه الحكمة الثالثة بمضامينها الخمسة قد أشارت إلى هذه الآية الكريمة.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[3].

الحكمة السادسة : الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد :

إن هذا القرآن الذي نزل منجماً على رسول الله ﷺ في أكثر من عشرين عاماً تنزل الآية أو الآيات على فترات من الزمن يقرؤه الإنسان ويتلو سوره فيجده محكم النسج، دقيق السبك، مترابط المعاني، رصين الأسلوب، متناسق الآيات والسور، كأنه عقد فريد نظمت حباته بما لم يعهد له مثيل في حياة البشر[4].

قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[5].

ولو كان هذا القرآن من كلام البشر قيل في مناسبات متعددة ووقائع متتالية، وأحداث متعاقبة، لوقع فيه التفكك والانفصام، واستعصى أن يكون بينه التوافق والانسجام.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[6].

---

(1) سورة النساء ، الآية: 141 .

(2) سورة البقرة ، الآية: 8 .

(3) سورة الفرقان ، الآية: 33 .

(4) مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، ص: 57 .

(5) سورة هود ، الآية: 1 .

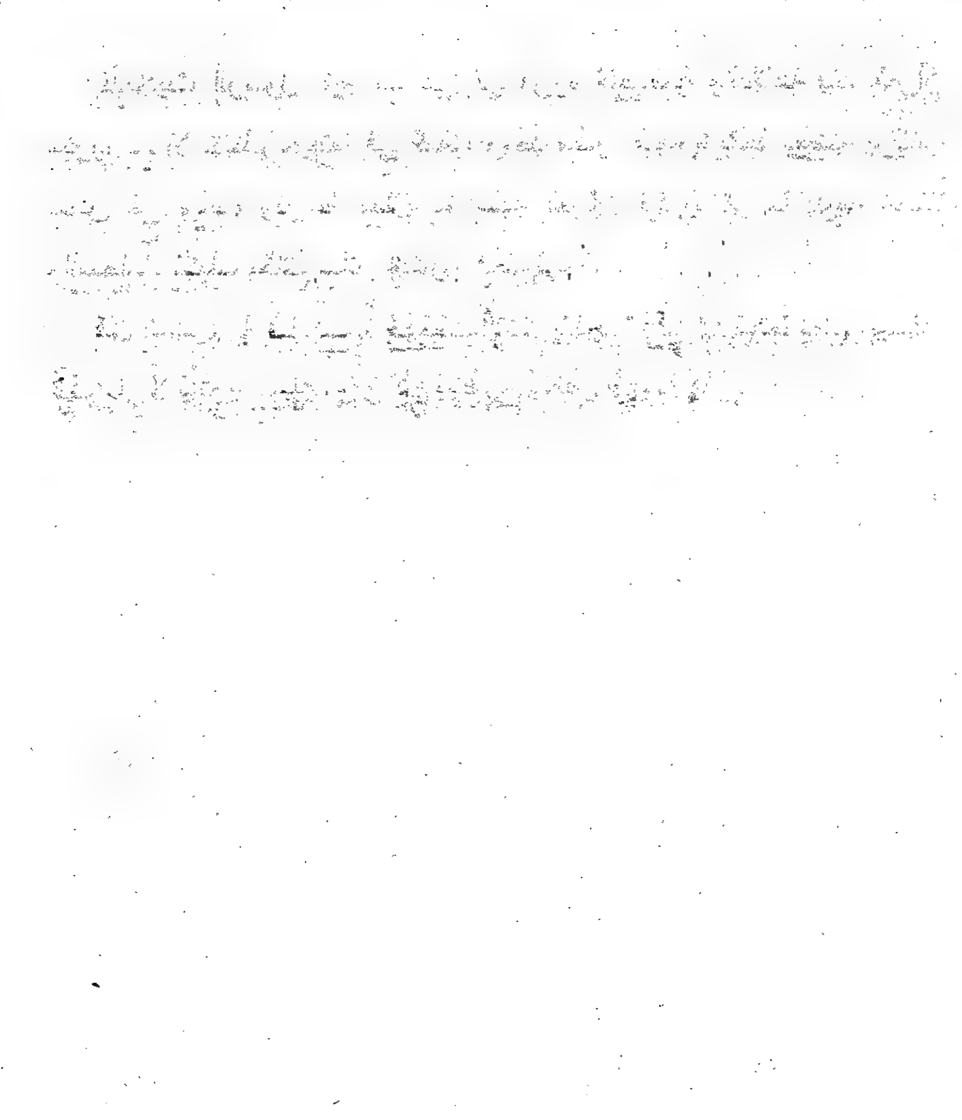
(6) سورة النساء ، الآية: 82 .

فأحاديث الرسول ﷺ ــ هي في ذروة الفصاحة والبلاغة بعد القرآن الكريم ــ لا تنتظم حباتها في كتاب واحد سلس العبارة يأخذ بعضه بركاب بعض في وحدة وترابط بمثل ما عليه القرآن الكريم أو ما يدنيه اتساقاً وانسجاماً. فكيف بكلام سائر البشر وأحاديثهم·

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء ، الآية: ٨٨ ·



الفصل الرابع

فضائل ليلة القدر

الحمد لله الذي أحكم الأمور وقدرها، وقدر الأشياء ودبرها، ودبر الموجودات وصورها، وصور الخليقة وأظهرها، وأظهر الأسرار وطهرها، وطهر القلوب ونورها، ونور الكواكب وسيرها، وسير الأفلاك وسخرها، وسخر الرياح ونشرها، ونشر السحب وأمطرها، وأمطر الرياض وأزهرها، وفضل مواسم الطاعات على سائر الأوقات وللخيرات والبركات يسرها، وشرف شهر رمضان على جميع الشهور وخص لياليه بالفضل المشهور وبتوفير الأجور شهرها وميزها بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وجعلها واسطة عقد الدهر فطوبى لمن عظمها ووقرها يا لها من ليلة ما أبركها وأنورها وما أكثر خيراتها وأغزرها، تفتح فيها أبواب السماء وتنزل الملائكة بالبشارات لمن أحياها من الأنام ومنع جفونه من المنام أسهم. فيافوز من تلذذ فيها بالمناجاة وتملى وتنهى فيها بطاعات مولاه، وتحلى وشاهد أنواره لما تجلى وسجدت له جميع المخلوقات، وقد أذهلها في أنواره وحيرها فيا لها من ليلة ما رفعت إليه فيها قصة محتاج إلا نظرها ولا وصلت إليه دعوة مظلوم إلا أنجزها ونصرها ولا صعدت إليه أنفاس كربة إلا أزال كربها وضرها ولا انتهت إليه شكاية ملهوف إلا أزال عنها الجرح وأتاها بالفرج وبشرها ولا تضرعت بين يديه معتذرة إلا قبلها وعذرها ولا توجهت من أجله قلوب منكسرة إلا أغاثها بلطفه وجبرها. فسبحان من اطلع في هذه الليلة الشريفة على الذنوب فغفرها وعلى العيوب فسترها وعلى القلوب فسكنها وعمرها وعلى حوائج السائلين فقضاها بفضله ويسرها[1].

---

(١) الحريفيش: الروض الفائق في المواعظ والرقائق (القاهرة: مكتبة الجمهورية العربية، د٠ت) ص: ٥٦ – ٥٧ ٠

شهدت بالقهر له الأفلاك مع الأملاك فسخرها، وأتت بالباب ذوى الحاجات تروم الفضل فيسرها. كما قد رفعت قصصاً وشكت غصصاً للشوق فبشرها، هامت في الليل به الأحباب فحط الحجب وسامرها، ولقد نظرت لما حضرت في حضرتـــه إذا أحضرها كاساً يملى وسناً يجلى لقلـــوب القوم فأسكرها، تاهت وبه باهت ولقد سهرت في الحب فساهرها، وجلا أقداح كؤوس الذكر لها فلهذا استأثرها، فله نظرت لما اشتهرت بمحبته إذ أسهرها.

ما أسعدها ما أزهدها ما أرشدها ما أنكرها ما أجملها ما أكملها ما أحملها ما أصبرها، فليالي القدر لها كشفت ولها الباري قد أظهرها. فتعالى رباً مقتدراً خلق الأشياء ودبرها، وقضى الآجال مع الأعمال لكل خلق وقدرها.

أحمده على نعمه التي نشرها وأغزرها وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نافعة لمن عنده أدخرها وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أيد الله به الشريعة ونصرها وهدى الأمة إلى الصواب وبصرها ﷺ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته التي برأها الله تعالى من الرجس وطهرها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر من شهر رمضان. وفي تسميتها بليلة القدر خمس وجوه.

أحدها: إنَّ القدر هو العظمة وهي ليلة عظيمة.

الثاني: إنه الضيق فهي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون من السماء.

الثالث: إن القدر هو الحكم فإن الأشياء تقدر فيها.

---

(١) سورة القدر ، الآية: ١ .

الرابع: إن لم يكن قدر بصير بمراعاتها إذا قدر.

الخامس: إنه نزل فيها كتاب ذو قدر وملائكة ذو قدر.

واختلفوا هل ليلة القدر باقية إلى زماننا هذا أم كانت في زمن النبي ﷺ خاصة على قولين أصحهما إنها باقية إلى زماننا هذا وإنها في شهر رمضان.

واختلفوا أي الليالي أخص بها على ستة أقوال:

أحدها: إن الأخص بها أول ليلة من شهر رمضان.

الثاني: هي ليلة الحادي والعشرين.

الثالث: هي ليلة الثالث والعشرين.

الرابع: هي ليلة الخامس والعشرين.

الخامس: هي ليلة السابع والعشرين.

السادس: هي ليلة التاسع والعشرين.

وقيل: إنها تنتقل في أفراد العشرة الأواخر من شهر رمضان.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۞ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾[١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما ذكر عند رسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه ألف شهر في سبيل الله فتعجب أصحاب النبي ﷺ من ذلك عجباً شديداً وتمنوا أن يكون لهم مثل ذلك فدعا ربه أي رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلهم فأعطاه الله ليلة القدر. فقال يا محمد ليلة القدر خير من ألف شهر. وأعطيتك وأمتك هذه الليلة في كل سنة خيراً لك ولهم من بعدك إلى يوم القيامة في كل شهر رمضان ليلة خير من ألف شهر. وألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر.

قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾[٢].

---

(١) سورة القدر، الآيتان: ٢- ٣.

(٢) سورة القدر، الآية: ٤.

قال المفسرون: ينزلون بكل أمر قضاه الله تعالى في تلك السنة وقدره.
وقوله: سلام: أي سلامة لا يحدث فيها داء ولا ترسل فيها شيطان.
حتى مطلع الفجر: أي إلى طلوع الفجر.

هي ليلة القدر التي شرفت على كل الشهور وسائر الأعوام من قامها يمحو الإله بفضله عنه الذنوب وسائر الآثام، فيها تجلى الحق جل جلاله وقضى القضاء وسائر الأحكام فادعوه واطلب فضله تعط المنى وتجاب بالإنعام والإكرام. فالله يرزقنا القبول بفضله ويجود بالغفران للصواب ويذيقنا فيها حلاوة عفوه ويميتنا حقاً على الإسلام.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره وأحيا الليل كله وأيقظ أهله[2].

وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إني كنت رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان في الوتر من لياليها وهي ليلة طلقة بلجة لا حارة ولا باردة كان فيها قمراً لا يخرج شيطانها حتى يضئ فجرها. وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فبم أدعو؟ قال: قولي اللهم إنك غفور كريم تحب العفو فاعف عني".

وعن محمد بن كعب رضي الله عنه قال: بينما عمر رضي الله عنه جالس في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين إذ ذكروا ليلة القدر ومعهم ابن عباس رضي الله عنهم فتكلم رجل منهم بما سمع عنها وعبد الله ساكت. فقال له عمر رضي الله عنه ما لك لا تتكلم يا ابن عباس تكلم وإلا تمنعك الحداثة. فقال إن الله تعالى وتر يحب الوتر، وإنه جعل الأيام تدور على سبع،

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما. (٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وخلق الإنسان من سبع، وخلق أرزاقنا من سبع، وجعل فوقنا سبع سماوات، وجعل تحتنا سبع أرضين، وجعل البحار سبعاً، وجعل ما يقع في السجود من أعضائنا سبعاً، وحرم من نكاح الأقربين سبعاً، وقسم المواريث بينهم على سبع، وأعطى نبيه ﷺ المثاني سبعاً، ورمي الجمار بسبع فأظنها والله أعلم في ليلة السابع والعشرين من رمضان. فتعجب عمر رضي الله عنه وقال: يا قوم من كان يروي هذا كرواية ابن عباس رضي الله عنهما.

ويقال: إن عدد كلمات هذه السورة ثلاثون كلمة وقوله حتى مطلع الفجر آخرها. وهي الكلمة السابعة والعشرون. فدل أنها ليلة السابع والعشرون.

ويقال: خصصت تلك الليلة وفضلت بنور ينزل من السماء مثل العلم من نور الله عز وجل. ويقال ذلك النور مثل خيمة عظيمة. فقال بعضهم هو من نور شجرة طوبى.

وقال بعضهم من نور الرحمة. وقال بعضهم من نور لواء الحمد. وقال بعضهم من نور أجنحة الملائكة. وقال بعضهم من نور الطاعات. وقال بعضهم من نور أسرار العارفين. وقال بعضهم من نور الهيبة ثم إن ليلة القدر ليلة مرغوبة وهي أفضل الليالي. وقد قيل:

للليلة القدر عند الله تفضيل ... وفي فضلها قد جاء تنزيل
فجد فيها على خير تنال به أجراً ... فللخير عند الله تفضيل
واحرصْ على فعل أعمال تسر بها ... يوم المعاد ولا يغررك تأميل
فتب إلى الله واحذر عقوبته ... عن كل ما فيه توبيخ وتنكيل
ولا تغرنك الدنيا وزخرفها ... فكل شئ سوى التقوى أباطيل

وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾[1]. يعني الرحمة في هذه الليلة وحدها خير وأكثر من الرحمة في ألف شهر.

---

(1) سورة القدر، الآية: ٣.

وهذا معناه: أن رحمتي على العصاة والمذنبين في هذه الليلة وحدها مثل رحمتي عليهم في ألف شهر[1].

وإنما سميت ليلة القدر لوجهين:

أحدهما: أنها ليلة قدر وجاه ومنزلة وشرف عند الله تعالى فسميت ليلة القدر.

وقال أبو الفضل: يعني ليلة القدر يقدر فيها الأرزاق والآجال والأمراض والمصائب والبلايا والعافية والفرح والسرور والربح والخسران[2].

عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم عن النبي ﷺ أنه قال: إذا كانت ليلة القدر ونزلت الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل عليه السلام معهم ومعهم أربعة ألوية فينصب لواء منها على قبري، ولواء منها على طور سيناء، ولواء منها على ظهر المسجد الحرام، ولواء منها على ظهر بيت المقدس، ولا يدع بيتاً فيه مؤمن ولا مؤمنة إلا دخله وسلم عليه يقول يا مؤمن ويا مؤمنة السلام يقرئك السلام فإذا طلع الفجر فأول من صعد جبريل عليه السلام حتى يكون على الوجه الأعلى بين السماء والأرض فيبسط جناحه فتصبح الشمس لا شعاع لها حتى يدعو ملكاً ملكاً فيصعدون فيجتمع نور الملائكة نور جناح جبريل عليه السلام فتصبح الشمس بيضاء لا شعاع فيها فيقول جبريل ومن معه من الملائكة بين السماء والأرض يومهم ذلك في الدعاء واستغفار للمؤمنين والمؤمنات، فإذا أمسوا دخلوا سماء الدنيا فتقول لهم ملائكة سماء الدنيا مرحباً بأشرافنا وساداتنا من أين أقبلتم فيقولون أقبلنا من عند أمة محمد ﷺ فيقول ما صنع الرب سبحانه وتعالى في حوائجهم فيقولون غفر لصالح أمة محمد ﷺ وشفع صالحهم في طالحهم فيصيحون إلى

---

(١) الحرفيش: الروض الفائق في المواعظ والرقائق، ص: ٥٩- ٦٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص: ٦٠ .

الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتقديس شكراً لما أعطاه الله سبحانه وتعالى لأمة محمد ﷺ ثم يسألون عن رجل رجل وامرأة امرأة فيقولون ما فعل فلان ما فعلت فلانة فيقولون وجدنا فلانا متعبداً، ووجدنا فلانا يذكر الله تعالى ووجدنا فلاناً راكعاً ووجدنا فلاناً ساجداً ووجدنا فلاناً تالياً ووجدنا فلاناً باكياً فيدعون لهم ويستغفرون لهم[١].

ثم يصعدون إلى السماء الثانية فهم في كل سماء يقضون يوماً وليلة في دعاء واستغفار لأمة محمد ﷺ حتى ينتهوا إلى مكانهم من سدرة المنتهى فتقول لهم سدرة المنتهى أين غبتم هذه الأيام فيقولون كنا عند نزل رحمة الله تعالى على أهل الأرض في ليلة القدر. فتقول لهم ما صنع الرب بهم فيقولون غفر لمحسنهم وشفعه في مسيئهم. قال: فتهتز سدرة المنتهى وتثني على الله تعالى بالتسبيح والتقديس والشكر لما أعطى الله تعالى لأمة محمد ﷺ فتسمعها جنة المأوى وهي مطلة عليها فتقول يا سدرة المنتهى لم اهتززت فتقول أخبرني سكاني عن جبريل عليه السلام أن الله تعالى غفر لأمة محمد ﷺ وشفع محسنهم في مسيئهم فتصيح جنة المأوى بالتسبيح والتقديس والثناء والشكر لما أعطى الله تعالى لأمة محمد ﷺ فتسمعها جنة النعيم وهي مطلة عليها فتقول ياجنة المأوى لما صحت فتقول أخبرتني سدرة المنتهى عن سكانها عن جبريل أن الله تعالى غفر لأمة محمد ﷺ وشفع محسنهم في مسيئهم فتصيح جنة النعيم كذلك ثم جنة عدن فيسمع منها الكرسي فيقول كذلك ثم يسمع العرش فيقول له يا كرسي لما صحت فيقول أخبرتني جنة عدن عن جنة النعيم عن جنة المأوى عن السدرة عن ساكنيها عن جبريل أن الله تبارك وتعالى غفر لأمة محمد ﷺ وشفع محسنهم في مسيئهم قال فيهتز العرش طرباً ويصيح فيقول الجليل جل جلاله لما صحت وهو أعلم فيقول

---

(١) الحرفيش: الروض الفائق في المواعظ والرقائق، ص: ٦٠- ٦١ .

يا رب أخبرني الكرسي عن جنة عدن عن جنة النعيم عن جنة المأوى عن السدرة عن ساكنيها عن جبريل عليه السلام أنك يا أرحم الراحمين قد غفرت لأمة محمد ﷺ فيقول الله عز وجل صدق جبريل وصدقت سدرة المنتهى وصدقت جنة المأوى وصدقت جنة النعيم وصدقت جنة عدن وصدق الكرسي وصدقت يا عرش أعددت لأمة محمد ﷺ مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فإن ليلة القدر عظيمة الفخر جليلة القدر إذ فيها يتجلى الرحمن بالأمان وتنزل الملائكة بالإحسان وتبسط موائد الامتنان فيعم الفضل على كل قاص ودان فيالها من درة زانة اللآلئ ومن ليلة فاقت جميع الليالي اليسير فيها من العمل كثير إذ هي محفوفة بالتيسير.

وقد قيل: إنا: النور للعظمة أو للدلالة على الذات مع الصفات والأسماء.

أنزلناه: أي القرآن العظيم في ليلة القدر.

فإن قلت: ما الحكمة في إنزال القرآن ليلاً ؟

والجواب:إن أكثر الكرامات ونزول النفحات والإسراء إلى السموات يكون بالليل، والليل من الجنة لأنه محل الإستراحة، والنهار من النار لأن فيه المعاش والتعب، والنهار حظه اليأس والفراق، والليل حظه الفراش والوصال. وعبادة الليل أفضل من عبادة النهار لأن قلب الإنسان فيه أجمع. والمقصود حضور القلب.

والآخـــر: وسميت بذلك لأنها ليلـــة عظم قدرها. يعني هي ذات القـــدر العظيم لنزول القرآن فيها ووصفها بأنها خير من ألف شهر لما يحصل لمحبيها بالعبادة من القدر العظيم والثواب الجزيل أو لأن الأشياء تقدر وتقضى

فيها لقوله جل ذكره:﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[1]. وتقدير الله تعالى سابق فهي ليلة إظهار الله ذلك التقدير للملائكة وأنزل الله تعالى فيها القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك مفصلاً بحسب الوقائع.

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾[2]: أي وأي شئ أعلمك يا محمد ما هي فإنك ما تعلم كنهها لأن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها إلا علام الغيوب. وهو تعظيم للوقت الذي أنزل فيه. ومن بعض فضائل ذلك الوقت أن يرتفع سؤال القبر عمن مات فيه وكذلك في سائر الأوقات الفاضلة. ومن ذلك يوما العيدين ثم مقتضى الكرم أن لا يسئل بعده.

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[3]: ليست فيها تلك الليلة فالعمل في تلك الليلة أفضل من عبادة ألف شهر. ليس فيها تلك الليلة لأن من جملة فضائلها أن الله تعالى قدر فيها كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة وغيرها إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية فيسلمه إلى مدبرات الأمور فيدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل، ونسخة الحروب والزلازل والخراب والصواعق والخسف إلى جبريل، ونسخة الأعمال إلى إسرافيل، ونسخة المصائب إلى ملك الموت.

وفي هذا المعنى قيل:

فكم من فتى يمسي ويصبح آمنا	وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من شيوخ يرتجي طول عمرهم	وقد رهقت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من عروس زينوها لزوجها	وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

(١) سورة الدخان ، الآية: ٤ .

(٢) سورة القدر ، الآية: ٢ .

(٣) سورة القدر ، الآية: ٣ .

وقد قيل: كان ملك سليمان عليه السلام مسيرة خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين مسيرة خمسمائة شهر، فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكيهما.

وعن أبي حاتم بسنده إلى مجاهد مرسلاً ورواه البيهقي في سننه عن النبي الصادق المصدوق أنه ذكر رجلاً حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[1]. أي التي حمل ذلك الرجل السلاح في سبيل الله فيها[2].

وعن أبي حاتم أيضاً بسنده إلى علي بن عروة ذكر رسول الله ﷺ يوماً أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله مائة عام لم يعصوه طرفة عين فذكر النبي ﷺ أيوب وزكريا وحزقيل ويوشع بن نون. فعجب أصحاب محمد ﷺ من ذلك فأتاه جبريل وقال له: عجبت أمتك من عبادة أربعة مائتي سنة لم يعصوا الله طرفة عين فقد أنزل الله خيراً من ذلك فقرأ عليه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[3]. أي أنَّ هذا أفضل مما عجبت أمتك منه. فقال: فسر النبي ﷺ والناس معه.

ونذكر هنا جملة من الفوائد:

الأولى: سلم الله على نوح في العالمين فأورثه الظفر على الكفرة بعد أن مكث فيها ألف سنة إلا خمسين عاماً. قال مقاتل: أرسله الله وهو ابن مائة عام وعاش بعد الطوفان ستين عاماً، وسلم على موسى فأورثه السلامة في البحر، وسلم على عيسى فأورثه إحياء الموتى، وسلم على إبراهيم فأورثه

---

(١) سورة القدر، الآيات: ١، ٢، ٣.

(٢) رواه البيهقي في سننه.

(٣) سورة القدر، الآية: ١.

النجاة من النار، وسلم على محمد ﷺ فأورثه الشفاعة، وسلم الله على أمته ليلة القدر فأورثهم الرحمة.

الثانية: يقول الله ليلة القدر يا جبريل الطاهر وميكائيل الذاكر ويا إسرافيل الراكع اختاروا من الملائكة أرحمهم واقصدوا زيارة العصاة فينزلون مع كل ملك منهم سبعون ألف ملك ومعهم أربعة ألوية: لواء الحمد، ولواء المغفرة، ولواء الكرم، ولواء الرحمة، فيسمع أهل كل سماء حتى الحور العين في الجنان فيقلن يا رضوان ما هذه الليلة؟ فيقول ليلة العرض تعرض بزواجكن فيرفع الحجاب حتى ينظرن أزواجهن فتنزل الملائكة فينصبون لواء المغفرة على قبر محمد ﷺ، وينصب لواء الرحمة فوق الكعبة، ولواء الكرامة فوق الصخرة، ولواء الحمد بين السماء والأرض، فلا يبقى بيت فيه مؤمن ولا مؤمنة إلا دخلت الملائكة فيه إلا بيتاً فيه كلب أو خنزير أو خمر أو جنب من حرام، فمن كان جالساً سلم عليه الملك، ومن كان ذاكراً سلم عليه جبريل، ومن كان مصلياً سلم عليه الرب سبحانه وتعالى.

الثالثة: جاء في عيون المجالس خطر على قلب سيدنا محمد ﷺ ما يفعل الله بأمته فأوحى الله تعالى إليه يا محمد إلي كم تقاسي غم الأمة لا أخرجهم من الدنيا حتى أعطيهم درجات الأنبياء في الدنيا لأن درجات الأنبياء نزول الملائكة عليهم بالوحي والسلام مني. فكذلك أمتك تنزل عليهم الملائكة ليلة القدر بالرحمة والسلام مني.

قال كعب الأحبار من قال لا إله إلا الله صادقاً ليلة القدر ثلاث مرات غفر الله له بواحدة ونجاه الله من النار بواحدة ودخل الجنة بواحدة.

الرابعة: روى الإمام علي رضي الله عنه من قرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر بعد العشاء سبع مرات عافاه الله من كل بلاء ودعا له سبعون ألف ملك بالجنة. ومن قرأها يوم الجمعة قبل الصلاة ثلاث مرات كتب الله له من

الحسنات بعدد من صلى الجمعة في ذلك اليوم. ومن كتبها لامرأة معوقة سهل الله عليها الولادة، ومن قرأها عقب كل صلاة مفروضة أعطاه الله نوراً في قبره ونور عند الميزان ونور عند الصراط.

الخامسة: إذا طلع الفجر على صبيحة ليلة القدر تصعد الملائكة التي نزلت في هذه الليلة إلى السماء فاستقبلتهم سكان سماء الدنيا فيقولون لهم من أين أقبلتم فيقولون كنا في الدنيا لأن هذه الليلة ليلة القدر لأمة محمد ﷺ فيقولون ما فعل الله بهم؟ فيقول جبريل إن الله غفر لصالحيهم وشفعهم في طالحيهم فترفع ملائكة سماء الدنيا أصواتهم بالتهليل والتكبير والثناء على الله شكراً لما أعطى الله هذه الأمة من المغفرة والرضوان، ثم تشيعهم ملائكة السماء الدنيا إلى الثانية ثم كذلك إلى السماء السابعة، ثم يقول جبريل يا سكان السموات ارجعوا فترجع ملائكة كل سماء في موضعهم فإذا وصلوا إلى سدرة المنتهى يفعل مثل ما فعل في السموات ويسمع التقديس والتهليل في الجنان والعرش فيرفع العرش صوته بالتسبيح والتقديس والثناء على الله شكراً لما أعطى هذه الأمة. فيقول الله للعرش وهو أعلم به يا عرش لم رفعت صوتك فيقول إلهي إنك غفرت البارحة لصالحي أمة محمد ﷺ شفعت صالحيها في طالحيها فيقول الله تعالى صدقت يا عرش ولأمة محمد ﷺ عندي من الكرامات مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وروي أن الملائكة ليلة القدر يسلمون على كل قائم وقاعد ومصل وذاكر ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم من مغيب الشفق إلى طلوع الفجر.

وعن بعضهم لا تنعقد نطفة كافر في ليلة القدر.

وورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: من أحيا ليلة القدر قضى الله له ألف حاجة وإن كان قدر عليه الشقاوة حوله سعيداً.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان متحرياً فليتحرها ليلة سبع وعشرين ـ أو قال ـ تحروها ليلة سبع وعشرين» يعني ليلة القدر[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ـ أن رجلاً أتى نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله، إني شيخ كبير عليل يشق عليّ القيام فأمرني بليلة لعل الله يوفقني فيها لليلة القدر، فقال: «عليك بالسابعة»[2].

فيا عباد الله إن هذا شهر مبارك الليالي والأيام وهو سبب لمحو الذنوب والآثام، وفيه يتوفر جزيل الشكر والإنعام، فاعتذروا فيه إلى المولى الكريم، وأقبلوا بقلوبكم إليه وقفوا بالخضوع لديه، وانكسروا بين يديه فإنه رحيم كريم.

إن في ليالي رمضان ليلة واحدة خير من ألف شهر، قال تعالى: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[3]. فاجتهدوا رحمكم الله بإخلاص الأعمال لله جلّ وعلا وبادروا بالتوبة والاستغفار والابتهال إلى ذي الجلال والإكرام.

واعلموا رحمكم الله أن الموتى في قبورهم يتحسرون على زيادة في أعمالهم بتسبيحه أو تحميده أو ركعة، رئي بعضهم في المنام فقال: ما عندنا أكثر من الندامة، وما عندكم أكثر من الغفلة، ورئي بعضهم فقال: قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل، وأنتم تعلمون ولا تعملون والله لتسبيحة أو تسبيحتان، أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا خير من الدنيا وما فيها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[4]. سميت ليلة القدر بذلك لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام.

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح.

(٢) رواه أحمد.

(٣) سورة القدر، الآية: ٣ .

(٤) سورة القدر، الآية: ١ .

قيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال: نعم. قال: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدور. روي أنه ذكر للنبي ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر فتمنى عليه الصلاة والسلام أن يكون ذلك لأمته فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها السلاح.

قال المفسرون: معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. تنزل الملائكة والروح يعنى جبريل فيها في ليلة القدر بإذن ربهم من كل أمر. أي بكل أمر من الخير والبركة. سلام. قيل: يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته.

وقيل: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتى تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر العشر الأواخر من رمضان»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى في ثالثة تبقى».

---

(١) عبد الضرير (تقي الدين عبد الملك بن أبي المنى): نزهة الناظرين في الأخبار المروية عن الأنبياء والصالحين (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، مطبعة الحلبى، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤م) ص: ٩٥.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولي اللهم إنك عفوّ تحب العفــو فــاعف عني[1].

واختلف المفسرون في قوله تعالــى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾[2]. فقال قتادة، وابن زيد هي ليلة القدر. وقال آخرون: هي ليلة النصف من شعبان.

قال ابن عباس رضي الله عنهما يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان.

وقال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم في ليلة القدر من شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة.

وقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[3]. إلى أخر السورة، فأنزلناه كناية عن القرآن الكريم أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا إلى السفرة، وهم الكتبة من الملائكة، فكان ينزل في تلك الليلة من اللوح على قدر ما ينزل به جبريل عليه السلام بإذن الله تعالى إلى النبيّ ﷺ في السنة كلها. إلى مثلها من قابل، حتى نزل القرآن كله في ليلة القدر من شهر رمضان إلى سماء الدنيا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾. يعنى أنزلنا جبريل بهذه السورة وجملة القرآن في ليلة القدر على الكتبة ثم نزل بعد ذلك نجما نجما على رسول الله ﷺ، في ثلاثة وعشرين سنة، في سائر الشهور والأيام والليالي والأوقات[4].

---

(١) روه الترمذي وقال حديث حسن.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٣.

(٣) سورة القدر، الآية: ١.

(٤) الجيلاني: الغنية، ج٢، ص: ١٠.

وقوله تعالى: ﴿ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[1]. أي في ليلة عظيمة، وقيل: في ليلة الحكم.

وسميت ليلة القدر تعظيماً لها ولقدرها، لأن الله تعالى يقدر فيها ما يكون من أمر السنة إلى مثلها من العام المقبل. ثم قال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾[2]. يا محمد لولا أن الله أعلمك بعظمتها، فكل ما في القرآن وما أدراك فقد أعلمه الله إياه، وما فيه وما يدريك فلم يدره، ولم يطلعه عليه كقوله عز وجل: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[3]. وما تبين له وقتها.

وقوله تعالى: ﴿ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ . أي ليلة العظمة والحكمة، وقيل: هي ليلة المباركة التي قال الله عز وجل فيها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[5].

ثم قوله عز وجل: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[6].

يعني العمل فيها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة قدر.

ويقال: إن الصحابة رضي الله عنهم لم يفرحوا بشئ كفرحهم بقوله تعالى: ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾.

وذلك أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً لأصحابه أربعة من بني إسرائيل بأنهم عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين، وذكر أيوب وزكريا وحزقيل ويوشع بن نون عليهم السلام فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك، فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: يا محمد عجبت أنت وأصحابك من

---

(١) سورة القدر ، الآية: ١ .

(٢) سورة القدر ، الآية: ٢ .

(٣) سورة الشورى ، الآية: ١٧ .

(٤) سورة الدخان ، الآية: ٣ .

(٥) سورة الدخان ، الآية: ٤ .

(٦) سورة القدر ، الآية: ٣ .

عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله فيها طرفة عين، فقد أنزل الله عليك خيراً من ذلك، ثم قــرأ عليه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ إلى آخرها، وقال له هذا أفضل مما عجبت أنت وأصحابك منه فسرّ بذلك النبي ﷺ.

وقال يحيى بن نجيح: إنه كان في بني إسرائيل رجل حمل السلاح ألف شهر في سبيل الله تعالى لم يضعه عنه، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأصحابه، فتعجبوا من قوله ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾. يعني خير لكم من تلك الألف شهر التي حمل فيها ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ولم يضعه عنه[1].

وقيل: إنه كان شمعون العابد في بني إسرائيل، وقيل: شمسون.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾: يعني تنزل من غروب الشمس إلى طلوع الفجــر ﴿ وَٱلرُّوحُ ﴾. يعني جبريل عليه السلام.

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الروح على صورة إنسان عظيم الخلق، وهو الذي قال الله عزّ وجل: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ ﴾[2]. وهو الملك يقوم مع الملائكة صفا وحده يوم القيامة. وقال مقاتل: هو أشرف الملائكة عند الله تعالى.

وقال غيره: إنه ملك وجهه على صورة الإنسان وجسده جسد الملائكة، وهو أعظم مخلوق عند العرش يقوم صفا، وتقوم الملائكة صفا.

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ ﴾[3].

- فيها -: يعني في ليلة القدر - بإذن ربهم -: أي بأمر ربهم - من كل أمر -: يعني بكل خير - سلام هي -: أي هي سلام، أي سليمة - حتى مطلــع الفجر - لا يحدث فيها داء ولا كهانة، مطلع الفجر بكسر اللام يريد الطلوع، وبالفتــح

---

(١) الجيلاني: الغنية، ج٢، ص: ١٠ – ١١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) سورة النبأ، الآية: ٣٨.

يريد الموضع الذي يطلع فيه، وقيل: سلام، يعنى سلام الملائكة على المؤمنين من أهل الأرض، يقولون سلام سلام حتى يطلع الفجر[1].

وقد قيل: إن سيد البشر آدم عليه السلام، وسيد العرب محمد ﷺ ، وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبش بلال، وسيد القرى مكة، وسيد الأودية وادي بيت المقدس، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الليالي ليلة القدر، وسيد الكتب القرآن، وسيد البقرة آية الكرسى، وسيد الأحجار الحجر الأسود، وسيد الآبار زمزم، وسيد العصى عصا موسى، وسيد الحيتان الحوت الذي كان يونس عليه السلام في بطنه، وسيد النوق ناقة صالح، وسيد الأفراس البراق، وسيد الخواتيم خاتم سليمان عليه السلام، وسيد الشهور شهر رمضان.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إذا كان ليلة القدر يأمر الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام أن ينزل إلى الأرض ومعه سكان سدرة المنتهى وهم سبعون ألف ملك، ومعهم ألوية من نور، فإذا هبطوا إلى الأرض ركز جبريل عليه السلام لواءه والملائكة ألويتهم في أربع مواطن: عند الكعبة، وعند قبر النبي ﷺ ، وعند مسجد بيت المقدس، وعند مسجد طور سيناء؛ ثم يقول جبريل عليه السلام للملائكة: تفرقوا، فيتفرقون فلا تبقى دار ولا حجرة ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة إلا دخلت الملائكة فيها، إلا بيت فيه كلب أو خنزير أو خمر أو جنب من حرام أو صورة، فيسبحون ويقدسون ويهللون ويستغفرون لأمة محمد ﷺ ، حتى إذا كان وقت الفجر يصعدون إلى السماء، فيستقبلهم سكان السماء الدنيا فيقولون لهم: من أين أقبلتم ؟ فيقولون: كنا في الدنيا، لأن الليلة ليلة القدر لأمة محمد ﷺ ، فقال سكان السماء الدنيا: ما فعل الله بهم وبحوائجهم ؟ فيقول جبريل عليه

---

(١) الجيلاني: الغنية، ج٢ ، ص: ١١ .

السلام: إن الله غفر لصالحيهم وشفعهم في طالحيهم، فترفع ملائكة سماء الدنيا أصواتهم بالتسبيح والتقديس والثناء على رب العالمين شكراً لما أعطاه الله هذه الأمة من المغفرة والرضوان، ثم تشيعهم ملائكة سماء الدنيا إلى السماء الثانية، ثم كذلك إلى سماء بعد سماء إلى السابعة؛ ثم يقول جبريل عليه السلام: يا سكان السموات ارجعوا، فترجع ملائكة كل سماء إلى مواضعهم، ويرجع سكان سدرة المنتهى إلى السدرة، فيقول سكان السدرة: أين كنتم ؟ فيجيبون مثل ما أجابوا أهل السماء الدنيا، فترفع سكان السدرة أصواتهم بالتسبيح والتقديس، فتسمع جنة المأوى ثم جنة النعيم، ثم جنة الفردوس، فيسمع عرش الرحمن، فيرفع العرش صوته بالتسبيح والتهليل والثناء على رب العالمين شكراً لما أعطى هذه الأمة، فيقول الله عز وجل وهو أعلم: يا عرشي لم رفعت صوتك ؟ فيقول: إلهي بلغني أنك قد غفرت البارحة لصالحي أمة محمد ﷺ وشفعت صالحيها في طالحيها، فيقول الله عز وجل: صدقت يا عرشي، ولأمة محمد عندي من الكرامة ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(١).

وقيل: إن جبريل عليه السلام إذا نزل من السماء لليلة القدر لا يدع أحداً من الناس إلا سلم عليه وصافحه، وعلامة ذلك اقشعرار جلده وترقيق قلبه وتدميع عينه. ولهذا روي أن النبي ﷺ كان مهموماً لأجل أمته، فقال الله تعالى: يا محمد لا تغتم فإني لا أخرج أمتك من الدنيا حتى أعطيهم درجات الأنبياء، وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنزل عليهم الملائكة بالروح والرسالة والوحي والكرامة، وكذلك أنزل بالملائكة على أمتك في ليلة القدر بالتسليم والرحمة مني.

والأمارة في أنها ليلة القدر، أن تكون ليلة طلاقة سحمة لا حارّة ولا باردة.

---

(١) الجيلاني: الغنية، ج٢، ص: ١٣ – ١٤ .

وقيل: لا يسمع فيها نباح الكلاب، وتطلع الشمس صبيحتها، ليس لها شعاع كالطست، وتكشف عجائبها لأرباب القلوب والولاية وأهل الطاعة لمن يشاء الله تعالى من المؤمنين من عباده، على قدر أحوالهم وأقسامهم ومنازلهم في القرب من الله عز وجل[1].

وفي قوله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾[2]: الذي هو جبريل عليه السلام ومعه سبعون ألف ملك وهو أمير عليهم، فجبريل عليه السلام يسلم على من كان قاعداً، والملائكة تسلم على من كان نائماً، والباري سبحانه وتعالى يسلم على عباده من كان قائماً، كما جاز أن يسلم الله عز وجل على عباده المؤمنين من أهل الجنة في الجنة بقوله: ﴿ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[3]. فجاز أن يسلم عل عباده الأبرار في الدنيا الذين سبقت لهم منا الحسنى والعناية والسعادة في الأزل، الفانين عن الخلق الباقين بالرب المطمئنين إلى الحقّ، فلا يبقى في ليلة القدر بقعة إلا وعليها ملك ساجد أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات إلا أن تكون كنيسة أو بيعة أو بيت النار أو بيت الوثن، أو بعض أماكنهم التي يطرحون فيها الخبث، فلا يزالون يدعون ليلتهم تلك للمؤمنين والمؤمنات. وأما جبريل عليه السلام فلا يدع أحداً من المؤمنين والمؤمنات إلا يسلم عليه ويصافحه ويقول له: . إن كنت في الطاعة فسلام عليك بالقبول والإحسان، وإن كنت في المعصية فسلام عليك بالغفران، وإن كنت في النوم فسلام عليك بالرضوان، وإن كنت في القبر فسلام عليك بالروح والريحان، فهو قوله عز وجل من كل أمر سلام..

وقيل: إن الملائكة تسلم على أهل الطاعات ولا تسلم على أهل العصيان، فمنهم الظلمة ليس لهم نصيب في سلام الملائكة وآكل الحرام وقاطع الرحـــم

---

(١) الجيلاني: الغنية، مصدر سابق، ص: ١٤ .

(٢) سورة القدر ، الآية: ٤ .

(٣) سورة يس ، الآية: ٥٨ .

والنمام وآكل أموال اليتامى، فهؤلاء ليس لهم نصيب في سلام الملائكة، فأي مصيبة أعظم من هذه المصيبة ؟

يمضي شهراً أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، ولا يكون ذلك حظ في سلام ملائكة رب العصاه والأبرار. فهل كان ذلك إلا لبعدك عن الرحمن، وكونك من أهل الطغيان وموافق الشيطان، وتحليك بحلية سالكي طريق النار؟ ولبعدك وتجافيك عن سالكي سبيل الجنان، وهجرانك لطاعة من بيده الضرر والإحسان.

ولقد أنشد أحد العارفين في فضائلها فقال[1]:

لولا شهود جمالكم في ذاتـــي	ما كنت أحيى ساعة بحياتي
ما ليلة القدر المعظم قدرهـــا	إلا إذا عمــرت بها أوقاتي
إن المحب إذا فكر في الهوى	والحب لم يحتج إلى ميقاتي

وقد قيل: من صلى في هذه الليلة ركعتين يصير كأنه صلى في كل ليلة من ألف شهر ركعتين. بل ثواب هاتين الركعتين أكثر من ثواب الصلوات كلها. وكذلك التسبيح والتهليل والتكبير وغيرها وليس فيها عبادة معينة كما كان في يوم الجمعة والعيدين وليالي رمضان. بل المروي عن الرسول ﷺ اعتكاف العشر الأواخر من رمضان لطلبها.

وعن ابن المسيب رضي الله عنه أنه قال كل من شهد العشاء بالجماعة ليلة القدر فقد أخذ بحظة منها.

وعن الإمام الشافعي أنه قال: من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله.

وهنا ينبغي أن نوضح تخصيص الألف بالذكر يجوز أن يكون المراد بها

---

(١) ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن (القاهرة: مكتبة القاهرة، الطبعة الأخيرة، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص: ١٤٦.

المبالغة في الكثرة لا حقيقتها كما في قوله تعالى:

﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[1]. بمعنى جميع الدهر.

ويجوز أن يكون المراد حقيقتها لما روي عن النبي ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل كان يقوم الليل حتى الصباح ويجاهد في سبيل الله حتى المساء ففعل ذلك ألف شهر فتعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأنزل الله هذه السورة لبيان أنهم أعطوا ليلة خير من مدة ذلك الغازي الذي حمل السلاح في سبيل الله ألف شهر. ثم أنه وإن فخم هذه الليلة وبين فضائلها إلا أنه أخفاها ولم يعين وقتها واختلفوا فيه فقال بعضهم هي في ليالي السنة كلها لا في وقت معين. وقال بعضهم أنها كانت في عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت.

ولقد قيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: نعم. قيل: فما معنى ليلة القدر؟

قال: سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر. يعني أن تقدير الله تعالى يحدث في هذه الليلة. بل المراد أن الله تعالى يظهر المقادير فيها للملائكة بأن يأمرهم بأن يكتبوها ويثبتوها. ويجوز أن يكون القدر بمعنى الفضل والشرف. وتسميته به هذه الليلة لفضلها وشرفها. ثم أن الفضل والشرف يرجع إلى العامل على معنى أن الطاعة الواقعة فيها يكون له قدر وشرف عند الله تعالى زائد على شرف سائر الطاعات.

وعن أبي بكر الوراق رضي الله عنه أنه قال: سميت ليلة القدر بهذا الاسم لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر على نبي ذو قدر وأمة لها قدر. ولعل ذكر القدر في هذه السورة ثلاث مرات لهذا السبب.

وقال الخليل: سميت بهذا الاسم لأن القدر بمعنى الضيق كما في قوله

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٩٦ .

تعالى: ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾[1].

وهذه الليلة ضيقة لكثرة نزول الملائكة فيها.

كما قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾[2].

وقيل: روح محمد ﷺ. وقيل روح المولى.

وقيل: النور الذي يلقى في القلوب.

وقيل: قل الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[3].

والأصح أنه جبريل عليه السلام.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾[4].

هو استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطابق له لأن ما يوجد فيها من المصالح الدينية والدنيوية مسبب لارتفاع فضلها وشرفها إلى هذا الحد وإلا فهو جزء من أجزاء الزمان الذي هو في ذاته أمر واحد متشابه الأجزاء فلا يكون بعض أجزائه أفضل من بعض بل لابد أن يكون أفضلية بعض أجزائه بسبب حصول أمر شريف فيه بإرادة الفاعل المختار كما في هذه الليلة.

كما قيل: من شرف هذه الليلة أن نوراً من السماء مثل العلم يحرق جميع الحجب إلى الثرى ويسجد لله تعالى جميع المخلوقات من العرش إلى العرش حتى النباتات والأشجار والمياه والأنهار حتى يرى شيء من ذلك البعض من أكرمه الله تعالى.

واختلفوا في ذلك النور فقال بعضهم أنه نور العرش. وقال بعضهم أنه نور الملائكة.. وقال بعضهم هو نور الطاعات، أي طاعات المؤمنين. وقيل:

---

(١) سورة الفجر ، الآية: ١٦ .

(٢) سورة القدر ، الآية: ٤ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية: ٨٥ .

(٤) سورة القدر ، الآية: ٤ .

نور أبواب الجنان. وقيل: نور شجرة طوبى أصلها في قصر محمد ﷺ وأغصانها في قصور أمته. كما أن الشمس في السماء وشعاعها في الدنيا وفي كل بيت.

وسورة القدر مختلف فيها، وآياتها خمس، وهي مائة واثنا عشر حرفاً وثلاثون كلمة.

وقد قيل: الهاء في أنزلناه كناية عن القرآن الكريم كما هو قول الأكثر. وأما السلام: يعني إنا أنزلنا السلام لأنه يسلم على المؤمنين من مشارق الأرض إلى مغاربها في ليلة القدر.

فذلك قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[1].

وأما عن الروح فهو الرحمة والراحة في ليلة القدر لأنه قال والروح فيها شفاء ورحمة.

أي وأي شئ أعلمك ما ليلة القدر. أي ما يدريك شرفها وثوابها. وما: استفهامية تعرب مبتدأ في الموضعين وما بعدهما خبر، وأدري يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، والكاف مفعوله الأول. والجملة أعني ما ليلة القدر ساد مسد مفعوليه الثاني والثالث. والاستفهام هنا للتفخيم كما يقال: زيد ما زيد ؟

وروي أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: من قرأ سورة القدر إيماناً واحتساباً محي عنه الذنب ويعطى من الأجر كمن قام وصام شهر رمضان وكان له بكل حرف من القرآن درجة في الجنة. وفضل من يقرأها ويعلم تفسيرها كفضل الشمس على النجوم.

وقال سعيد الحنفي: ليلة القدر معناه ليلة لتقدير وهي تسعة أحرف مع تكرار اللام فمن عبد الله تعالى في هذه الليلة يقبل الله عبادته ويقدر له تسعة أشياء في الجنة : لرجليه مراكب الجنة، ولجسده حريرها، وليديـــه أساورها،

---

(١) سورة القدر ، الآية: ٥ .

والخاتم ولرأسه تاج الجنة، ولجلوسه سريرها، ولسانه الكلام مع الرب جل جلاله، ولأذنه استماع خطابه، ولعينه رؤية الرب والله يحكم لا معقب لحكمه.

وهنا ينبغي أن نوضح أن فضائل ليلة القدر من ثلاثة أوجه:

الأول: قول ليلة القدر خير من ألف شهر.

والثاني: من فضائل هذه الليلة قوله تعالى «تنزل الملائكة والروح فيها».

والثالث: قوله تعالى «سلام هي حتى مطلع الفجر».

قال رسول الله ﷺ: «من اعتكف عشراً في رمضان كان كمن حج حجتين واعتمر عمرتين»[١].

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن جابر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بغرف الجنة. قلنا بلى يا رسول الله. قال: إن في الجنة غرفاً من أصناف الجواهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فيها من النعم واللذات والشرف مالا عين رأت ولا أذن سمعت. قلنا يا رسول الله ولمن هذه الغرف. قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام. وقنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك. قال: من لقي أخاه المسلم فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام. ومن صام رمضان. ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام. ومن صلى العشاء الأخيرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام[٢].

وأخرج ابن عدي والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ إن في الجنة لغرفاً فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها وإذا كان خلفها لم يخف عليه فيها. قيل لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام وواصل

---

(١) رواه البيهقي في الترغيب والترهيب.

(٢) المقصود هنا اليهود والنصارى والمجوس وقال البيهقي إسناده غير قوي.

الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيام.

قيل: وما أطيب الكلام؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومنجيات ومعقبات. قيل: في وصال الصيام. قال: من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه.

قيل: فما إطعام الطعام؟ قال: من أطعم عياله.

قيل: فما إفشاء السلام؟ قال: مصافحة أخيك وتحيته.

قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: صلاة العشاء الأخيرة.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا استهل شهر رمضان استقبل القبلة بوجهه ثم قال: اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية والرزق الحسن ودفاع الأسقام والعون على الصلاة والصيام وتلاوة القرآن.

اللهم سلمنا رمضان وسلمه منا حتى ينقضي لنا وقد غفرت وعفوت عنا ورحمتنا. ثم يقبل على الناس بوجهه فيقول: أيها الناس إذا استهل رمضان فتحت أبواب السماء وأبواب الرحمة وأبواب الجنان وغلقت أبواب النار وسلسلت الشياطين.

إن لله عز وجل عتقاء من النار. وينادي مناد كل ليلة اللهم اعط كل منفق خلفاً ولكل ممسك تلفاً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما سمع النبي ﷺ يقول: إن الجنة لتتجدد وتتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان. فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المنيرة فتصطفق ورق أشجار الجنان وحلق المصابيح فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه فيشرفن الحور العين حتى يقفن على شجر الجنة فينادين هل من خاطب إلى الله عز وجل فيزوجه. ثم يقلن يا رضوان ما هذه الليلة فيجيبهن بالتلبية.

ثم يقول يا خيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان فتفتح فيها أبواب الجنان للمصلين من أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه.

ويقول الله عز وجل يا رضوان افتح أبواب الجنان يا مالك اغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد، يا جبريل اهبط إلى الأرض فيصفد مردة الشياطين وغلبهم في الأغلال ثم يقذف بهم في لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة حبيبي محمد صيامهم.

قال: ثم يقول الله عز وجل في ساعات النزول أو التجلي الإلهي هل من سائل أعطيه سؤاله، هل من تائب فأتوب عنه، هل من مستغفر فأغفر له.

ولله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجب العذاب فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق الله عز وجل في ذلك اليوم بعدد ما اعتق من أول الشهر إلى آخره. فإذا كانت ليلة القدر أمر الله عز وجل جبريل فيهبط في كوكبة من الملائكة ومعه لواء أخضر فيركز اللواء على ظهر الكعبة ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر فينشرهما في تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب.

وقد قيل: ويثبت جبريل الملائكة في هذه الليلة فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصل وذاكر فيصافحونهم ويؤمنون دعائهم حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر نادى جبريل يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل فيقولون يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة محمد ﷺ فيقول إن الله عز وجل نظر إليهم في هذه الليلة فعافاهم وغفر لهم إلا أربعة.

قال رسول الله ﷺ وهؤلاء الأربعة رجل مدمن خمر وعاق والديه وقاطع رحم، ومشاحن. فقيل يا رسول الله: وما المشاحن؟ قال: هو المصارم فإذا كانت ليلة الفطر سميت ليلة الجائزة فإذا كان غداة الفطر يبعث الله

الملائكة في كل بلد فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلا الجن والإنس فيقولون يا أمة محمد أخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنب العظيم فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله عز وجل يا ملائكة ما جزاء الأجير إذا عمل عمله فتقول الملائكة إلهنا وسيدنا جزاءه توفية أجره فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثوابهم من صيام شهر رمضان وقيامهم رضائي ومغفرتي. فيقول الله عز وجل سلوني فوعزتي وجلالي لا تسألوني شيئاً في جمعكم هذا لآخرتكم إلا أعطيتموه ولا لدنياكم إلا نظرت لكم وعزتي لأسترن عليكم عثراتكم إذا ما راقبتموني وعزتي لأجزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال في تلك الليلة يصفد مردة الشياطين وتغفل عفاريت الجن ويفتح فيها أبواب السماء كلها ويقبل الله التوبة فيها لكل تائب فلذا قال سلام هي حتى مطلع الفجر.

وقال الشعبي هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين غروب الشمس إلى أن يطلع الفجر.

وقال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمناً أو مؤمنة سلموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر.

وقال بعضهم: تم الكلام على سلام قوله هي. أي ليلة القدر مستمرة حتى مطلع الفجر. أي إلى طلوع الفجر.

والجمهور على فتح اللام على أنه مصدر بمعنى الطلوع.

كما قال البغوي: وهو الاختيار.

وقرأه الكسائي بكسر اللام وهو موضع الطلوع.

وقد قيل: الفتح أيضاً يحتمل المصدر والزمان.

ولذا فسّر البيضاوي بقوله وقت مطلعه وطلوعه.

وأما الكسر فمصدر شاذ كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق.

هذا وقال صاحب المعالم اختلفوا في وقتها فقال بعضهم أنها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت، وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة.

وروي عن عبد الله بن بُحَنسّ مولي معاوية قال: قلت لأبي بكر رضي الله عنه زعموا أن ليلة القدر قد رفعت. قال: كذب من قال ذلك. قلت: هي في كل شهر رمضان أستقبله. قال: نعم.

وأخرج محمد بن منصور عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن ليلة القدر أهي شئ كان فذهب أم هي في كل عام؟ فقال: بل هي لأمة محمد ما بقي منهم اثنان. قلت ولو بقى منهم واحد.



الفصل الخامس

قضية التفضيل بين ليلة الجمعة وليلة القدر

يسوق صاحب «الغنية لطالبي طريق الحق» سؤالاً:

هل ليلة الجمعة أفضل من ليلة القدر ؟

والجواب ـ كما يقول ـ اختلف أصحابنا في ذلك؛ فاختار الشيخ أبو عبد الله بن بطة، والشيخ أبو الحسن الجزري، وأبو حفص عمر البرمكي رحمهم الله أن ليلة الجمعة أفضل. واختار أبو الحسن التميمي رحمه الله أن الليلة التي أنزل فيها القرآن من ليالي القدر أفضل من ليلة الجمعة(١).

فأما أمثال تلك الليلة من ليلة القدر فليلة الجمعة أفضل.

وقال أكثر العلماء: ليلة القدر أفضل من ليلة الجمعة وغيرها من الليالي.

ومما يرى عن القاضي الإمام أبو يعلى رحمه الله بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يغفر الله ليلة الجمعة لأهل الإسلام أجمعين». وهذه فضيلة لم تنقل عنه عليه الصلاة والسلام لغيرها من الليالي.

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أكثروا عليّ من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الأزهر، ليلة الجمعة ويومها».

والغرّة من الشيء خياره، ولأن ليلة الجمعة تابعة ليومها.

وقد جاء في فضل يومها ما لم يجئ في فضل يوم ليلة القدر، من ذلك ما روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما طلعت الشمس على يوم أعظم من يوم الجمعة ولا أحب إليه منه».

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: لا تطلع الشمس

---

(١) الجيلاني: الغنية لطالبي طريق الحق، ج١، ص: ١٢.

ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهي تفزع ليوم الجمعة إلا هذين الثقلين من الجنّ والإنس».

كما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث يوم الجمعة وهي زهراء منيرة، وأهلها يحفون بها كالعروس تهدي إلى كريمها تضئ لهم ويمشون في ضوئها، وألوانهم كالثلج، وريحهم كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، وينظر إليهم أهل الموقف الثقلان ما يطرفون تعجباً حتى يدخلون الجنة».

فإن قيل: فما جوابكم عن قوله تعالى:﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾[1] ؟

قيل: المراد بها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة الجمعة، كما أن تقديرها عندهم خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وأيضاً أن ليلة الجمعة باقية في الجنة، لأن في يومها تقع الزيادة إلى الله سبحانه وتعالى، وهي معلومة في الدنيا بعينها عن القطع، وليلة القدر مظنون عينها.

ومما يحكى عن التميمي وغيره من العلماء قالوا: أن ليلة القدر أفضل قوله تعالى: ﴿ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾. وألف شهر: ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر.

وقيل: إنه عرض على النبي ﷺ أعمار أمته فاستقلها، فأعطي ليلة القدر.

وعن مالك بن أنس رضي الله عنه أنـــه قال: سمعت ممن أثق به يقول: إن رسول الله ﷺ رأى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله تعالى من ذلك، فكأنه تصاغر أعمار أمته بأن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر».

وقال أنس بن مالك رحمه الله: بلغني أن سعيد بن المسيب قال: من حضر صلاة العشاء ليلة القدر أصاب منها حظاً.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى العشاء والمغرب في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر، ومن قرأها». يعني سورة القدر. فكأنما قرأ ربع القرآن.

---

(١) سورة القدر، الآية: ٣.

ويستحب أن يقرأها في العشاء الأخيرة من رمضان.

فإن قال قائل: لمْ لم يطلع الله عباده على ليلة القدر يقيناً وقطعاً كما أطلعهم على ليلة الجمعة وبينها لهم ؟

والجواب: لئلا يتكلوا على عملهم فيها، فيقولوا قد عملنا في ليلة خير من ألف شهر، فقد غفر الله لنا وحصل لنا عنده درجات وجنات، فلا يعملوا عملاً واطمأنوا، فيغلب عليهم الرجاء فيهلكوا، وهذا كما لم يطلعهم على فناء آجالهم لئلا يقول من كان في عمره طول: أتبع الشهوات واللذات والتنعم في الدنيا، فإذا قاربت أجلي تبت واشتغلت بعبادة ربي وأموت تائباً مصلحاً، فغيب الله تعالى عن آجالهم ليكونوا أبداً على وجل وحذر من الموت فيحسنوا العمل ويداوموا على التوبة وإصلاح العمل، فيأتيهم الموت وهم على خير حال، فتصل إليهم الأقسام من اللذات والشهوات في الدنيا، وينجون من عذاب الله في الآخرة برحمة الله تعالى.

وقيل: إن الله تعالى أخفى خمسة أشياء في خمسة: الأول: أخفى رضاء الله في الطاعات. والثاني: أخفى غضبه في المعاصي. والثالث أخفى الصلاة الوسطى بين الصلوات. والرابع: أخفى وليه في خلقه. والخامس: أخفى ليلة القدر في شهر رمضان.

إن الله سبحانه وتعالى أعطى المصطفى ﷺ خمس ليال:

الأولى: ليلة المعجزة والقدرة وهي انشقاق القمر قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[1].

وكان انفلاق البحر لموسى عليه السلام بضرب العصا، والانشقاق لمحمد ﷺ بإشارة إصبع المصطفى، فهو أعظم في المعجزات والإعجاز والقدرة.

(١) سورة القمر، الآية: ١.

والثانية: ليلة الإجابة والدعوة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[1].

والثالثة: ليلة الحكم والقضية. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[2].

والرابعة: ليلة الدنو والقربة، هي ليلة المعراج. قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[3].

والخامسة: ليلة السلام والتحية. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾[4]. يعني ليلة القدر.

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الدخان، الآيتان: ٣ – ٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٤) سورة القدر، الآية: ٤.

الفصل السادس
قضية التفضيل بين
ليلة المولد النبوي الشريف وليلة القدر

في البداية ينبغي أن نوضح قضية التفضيل فنقول: لما كانت ليلة مولد الرسول ﷺ أفضل من ليلة القـــدر لذا نكتفي هنا بنصوص بعض من العلماء الموثوق بعلمهم ودينهم الذين يفضلون ليلة مولده صلى الله عليه وسلم، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: الإمام مالك رضي الله عنه والإمام النووي والحافظ القسطلاني والسمهودي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم، يقولون بأفضلية ليلة المولد النبوي الشريف على ليلة القدر. وإليك الآن بيان ذلك:

ذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض الصحابة وأكثر المدنيين إلى تفضيل المدينة وهو مذهب الإمام مالك، وإحدى الروايتين، عن الإمام أحمد، ولابن الجوزي في الوفاء عن عائشة قالت: لما توفى النبي ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال علي: إنه ليس في الأرض بقعة أكرم على الله من بقعة قبض فيها نفس نبيه ﷺ.

وقال أبو بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: . لا يقبر النبي إلا في أحب الأمكنة إليه.[1].

وأحبها إليه أحبها إلى ربه، لأنه حب تابع لحب ربه، وما كان أحب إلى الله ورسوله، كيف لا يكون أفضل ؟[2].

وقد صح قوله ﷺ: . اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد . . أي بل أشد كما روي به وأجيبت دعوته، حتى كان يحرك دابته إذا رأى المدينة من كثرة حبه لها.

---

(١) رواه أبو يعلى.

(٢) أبو العزائم، عز الدين: الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء مشترع لا مبتدع، ص: ٧٠ .

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما على الأرض بقعة أحب إلي أن يكون قبري بها منها».

وروى الحاكم في مستدركه على الصحيحين. حديث: «اللهم إنك أخرجتني من أرغب البقاع إليّ، فأسكني في أرحب البقاع إليك».

أي في موضع تصيره كذلك فيجتمع فيه حبان، ولهذا قيل لمالك: أيهما أحب إليك المقام هنا أي بالمدينة أو بمكة؟ فقال: هاهنا، فكيف لا أختار المدينة وما بها طريق إلا سلك عليها رسول الله ﷺ. جبريل عليه السلام ينزل من عند رب العالمين، وقد ثبت في الأحاديث تفضيل الموت بالمدينة، فيثبت تفضيل سكناها، لأنه طريقه. أما الجمهور فإنهم يرون تفضيل السماء على الأرض ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة.

ولقد ذكر الحافظ القسطلاني في كتابه «المواهب»: إذا قلنا بأنه صلى الله عليه وسلم ولد ليلاً فأيهما أفضل ليلة القدر أو ليلة مولده ﷺ؟

والجواب: أن ليلة مولده ﷺ أفضل من ليلة القدر من وجوه:

قال الشيخ السمهودي المدني في كتابه «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى»: «الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة حتى الكعبة».

وقال ابن القيم في «بدائع الفوائد»: وسؤال ابن تيمية عن ليلة القدر وليلة الإسراء أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن ليلة الإسراء أفضل في حق النبي ﷺ وليلة القدر أفضل بالنسبة للأمة ... ألخ.

وأما عن رأي ابن القيم في قضية التفضيل فقد قال في بدائع الفوائد: قال ابن عقيل الحنبلي: سألني سائل أيهما أفضل حجرة النبي أو الكعبة؟ فقلت: إن أردت الحجرة، فالكعبة أفضل، وإن أردت وهو صلى الله عليه وسلم فيها، فلا والله، لا العرش وحملته، ولا جنة عدن، ولا الأفلاك الدائرة، لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح[1].

---

(١) أبو العزائم، عز الدين: الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء مشترع لا مبتدع، ص: ٧٠- ٧١.

ويرى ابن زكري في قضية التفضيل: كل ما له شرف إنما اكتسبه وناله منه ﷺ، فبه تشرف الزمان والمكان وغيرهما إذ هو الواسطة في وصول كل نعمة لكل منعم عليها، وبيده مفاتيح الخزائن الإلهية فلا يخرج منها شئ من الخصوصيات والفتوحات والأنوار والأسرار إلا على يديه، فشرف كل شريف بحسب القرب منه وعلى قدره، ولا شك أن ليلة مولده ﷺ أقرب إليه من ليلة القدر، ومن هنا كان خير القرون القرن الذي كان فيه الصحابة.

وقال العلامة محمد بن أحمد بنيس في شرح الهمزية: وقد صرح العلماء رضي الله عنهم بأن ليلة ولادته ﷺ أفضل من ليلة القدر مطلقاً، سواء قلنا ولد ليلاً أو نهاراً[1].

ثم نقول: إنما قصر على أفضلية ليلة القدر لتعلم أفضليتها إذ لا تعلم إلا من النص، وليلة ظهوره ﷺ لا تحتاج إلى التنصيص على أفضليته لشدة وضوحها وغاية ظهورها فهي كالإخبار بالمعلوم والله أعلم.

وإذا ثبت أن ليلة ولادته ولد فيها أو ولد صبيحتها أفضل الليالي، واليوم الذي يسفر عنه أفضل الأيام، فهو عيد وموسم، فيعظم ويحترم ويعمل فيه ما يدل على التعظيم والاحترام، كما اختاره الحافظان الزين العراقي والجلال السيوطي.

وقد قال عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق، بإيثار ليلة مولده ﷺ على ليلة القدر، وأحتج بذلك في كتابه ‹جنا الجنتين في فضل الليلتين›.

وقد قيل حين ولادته ﷺ وخروجه إلى هذا الوجود، لم يقدر اللعين إبليس وجنوده على القرار في هذه الأرض، ولا في الثانية، ولا في الثالثة، إلى أن نزلوا إلى الأرض السابعة، فخلت الأرض منهم ببركة وجوده ﷺ فيها، فانظر رحمنا الله تعالى وإياك إلى خلو الأرض من هذا اللعين وجنوده.

---

(1) أبو العزائم، محمد ماضي: الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء مشترع لا مبتدع، ص: ٧١ .

وقد ورد في شهر رمضان أن إبليس وجنوده يقيدون، فأين التقييد من نفيهم بالكلية إلى تخوم الأرض السابعة؟ وفي هذا إشارة عظيمة دالة على كرامته عليه الصلاة والسلام عند ربه، والاعتناء به وبمن تبعه، فإن قيل: إن شهر رمضان تقيد الشياطين في جميعه، فلا شك أن نفيهم إلى الأرض السابعة السفلى في يوم مولده ﷺ أعظم من تقييدهم في شهر رمضان كله[1].

أدلة أفضلية
ليلة مولد النبي ﷺ على ليلة القدر

إن فضل الزمان والمكان إنما يكون بحسب الشئون التي يحدثها الله تعالى فيه، وإن ليلة المولد النبوي الشريف أفضل في الحقيقة ونفس الأمر من ليلة القدر للأدلة الآتية:

الأول: إن الشرف هو العلو والرفعة، وهما نسبتان إضافيتان، فشرف كل ليلة بحسب ما شرّفت به، وليلة المولد شرفت بولادة خير خلق الله عز وجل، فثبت بذلك أفضليتها على غيرها من الليالي.

الثاني: إن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ ، وليلة القدر ليلة معطاة له، وما شرّف بظهور ذات المشرّف أشرف مما شرّف بسبب ما أعطيه، ولا نزاع في ذلك، فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أشرف.

الثالث: إن ليلة القدر إحدى ما منحه من شرّفت ليلة المولد بوجوده ﷺ من المواهب والمزايا، وهي لا تحصى كثرة، وما شرّف بإحدى خصائص من ثبت له الشرف المطلق لا يتنزل منزلة المشرّف بوجوده، فظهر أن ليلة المولد أشرف بهذا الاعتبار.

---

(١) أبو العزائم، عز الدين: الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء، مرجع سابق، ص: ٧٢ .

الرابع: إن ليلة القدر شرّفت باعتبار ما خصت به، وهو منقض بانقضائها إلى مثلها من السنة المقبلة على الأرجح من القولين، وليلة المولد شرّفت بمن ظهرت آثاره وبهرت أنواره أبداً في كل فرد من أفراد الزمان إلى انقضاء الدنيا.

الخامس: إن ليلة القدر شرّفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد شرّفت بظهور النبي ﷺ ، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل من شرّفت به ليلة القدر، فتكون ليلة المولد أفضل من هذا الوجه.

السادس: الأفضلية عبارة عن ظهور فضل زائد في الأفضل، والليلتان معا اشتركتا في الفضل بتنزل الملائكة فيها معاً حسبما سبق، مع زيادة ظهور خير الخلق ﷺ في ليلة المولد، ففضلت من هذا الوجه على القولين جميعاً في المفاضلة بين الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

السابع: إن ليلة القدر شرّفت بنزول الملائكة وانتقالهم من محلهم من الأعلى إلى الأرض، وليلة المولد شرفت بوجوده ﷺ وظهوره، وما شرف بالوجود والظهور أشرف مما شرف بالانتقال.

الثامن: إن ليلة القدر فضلت باعتبار عمل العامل فيها، فإذا قدرّت أهل الأرض كلهم عامين فيها، فلا يلحقون قدر من شرّفت به ليلة المولد ولا يلحقون عمله في لحظة، وإن كان في غيرها فثبت أفضلية ليلة مولد الرسول ﷺ بهذا الاعتبار[1].

التاسع: شرّفت ليلة القدر لكونها موهوبة لأمة محمد ﷺ عناية به عليه الصلاة والسلام، وشرفت ليلة المولد بوجود من وهبت ليلة القدر لأمته ﷺ اعتناء به، فكانت الأفضل.

---

(١) أبو العزائم، عز الدين: الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء، مرجع سابق، ص: ٧٥ – ٧٦ .

العاشر: ليلة القدر لم تكن موجودة حين ولادته ﷺ وإنما أتى فضلها بعد الولادة بمدة، فلم يكن اجتماعهما حتى يتأتى بينهما تفضيل وتلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم، حيث سئل ﷺ عن صوم يوم الإثنين فقال: «فيه ولدت وفيه أنزل عليَّ». فبين بذلك دوام إحيائها وتجديد ذكراها كل أسبوع.

الحادي عشر: إن ليلة القدر وقع فيها التفضيل على أمة سيدنا محمد ﷺ فقط، لأنها مخصصة لهم، ولم تكن لمن قبلهم، وليلة المولد النبوي الشريف وقع الفضل فيها على سائر الموجودات، أمته صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الأمم، من حيث الأمن من العذاب كالخسف والمسخ، وهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين، فعمَّت بمولده النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أهم نفعاً، فصارت بذلك أفضل من ليلة القدر.

الثاني عشر: إن ليلة القدر إنما يحظى بها العامل فيها، فمنفعتها قاصرة، وليلة المولد متعدية منفعتها، وما كانت منفعتها متعدية أفضل من غيرها.

الثالث عشر: إن ليلة القدر ثبت في فضلها ما ثبت مما قدمناه، إلا أنه عرض فيها ما عرض من الخلاف في البقاء والرفع - وإن ضعفت - وليلة مولده ﷺ شرفها باق فكانت أفضل بهذا الاعتبار.

الرابع عشر: من المؤكد أن ليلة المولد النبوي الشريف أفضل ويدل عليه أن تقول زمن شرّف بولادته ﷺ وإضافته إليه، واختص بذلك فليكن أفضل الأزمنة، قياساً على أفضلية البقعة التي اختصت بروضة النبي ﷺ على سائر الأمكنة، وقد فضلت إجماعاً، فليكن الزمن الذي اختص بولادته ﷺ أفضل الأزمنة بهذا الاعتبار.

الخامس عشر: إن ليلة القدر فرع ظهوره ﷺ والفرع لا يقوى قوة الأصل، ففضلت ليلة المولد النبوي الشريف على ليلة القدر بهذا الاعتبار.

السادس عشر: إن في ليلة المولد أظهر الله تعالى أسرار وجوده ﷺ التي ارتبطت بها السعادة الأخروية على الإطلاق، واتضحت الحقائق، وتميز بها الحق من الباطل، وظهر ما أظهر الله تعالى في الوجود من أنوار السعادة وسبيل الرشاد، وافترق به فريق الجنة من فريق السعير، وتميز وعلا به الدين، وأظلم الكفر وزهق الباطل، إلى غير ذلك من وجود أسرار الله عز وجل في مخلوقاته، وما هو الموجود من آياته، ولم يثبت ذلك في ليلة من ليالي الزمان، فوجب بذلك تفضيلها بهذا الاعتبار[1].

وبعد هذا العرض المجمل فإن قيل: دل الدليل على أن ما تختص به ليلة القدر موجود في كل سنة – على القول المشهور من بقائها وعدم رفعها – ولم يثبت في ليلة المولد النبوي الشريف اعتبارها في كل سنة فوجب تفضيل ليلة القدر ؟

والجواب: دل الدليل على مراعاة ليلة المولد النبوي الشريف وفضلها، باعتبار تكرر زمانها حسبما روي في صريح الصحيح، وهو ما حدثنا به شمس الدين بن القماح إلى آخر السند أن رسول الله ﷺ سئل عن يوم الإثنين فقال: «فيه ولدت وفيه أنزل عليّ»[2].

وثبت بهذا الحديث استمرار أفضلية ليلة المولد النبوي الشريف وصبيحتها، فشرفها باق، ورعى زمانها ثابت، إذ لا نزاع في صحة الحديث، ولا يرد عليه شئ من الأسئلة الواردة على المتون كما تقرر عند الأصوليين وأهل النظر.

فالحاصل في ليلة القدر حاصل فيها، مع مزية عدم الاختلاف الموجود في

---

(١) أبو العزائم، عز الدين: الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء، ص: ٧٧ – ٧٨.

(٢) أخرجه مسلم، وفي طريق: «وفيه بعثت وفيه أنزل عليّ». ورواه النسائي في سننه من طريق ابن الأحمر، وهي الطريق التي انفرد بها المغاربة، وفي كتاب: «عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع دون من أجاز، بالمغرب والشام والحجاز».

ليلة القدر، وهذا أول دليل على صحة ذلك، والمنة لله عز وجل.

فإن قيل: ليلة القدر اختصت بأعمال لم توجد في ليلة المولد النبوي الشريف وذلك يدل على كونها أفضل.

فالجواب: الأعمال التي اختصت بها ليلة القدر إن كانت شريفة مشرفة إلا أن ما اختصت به ليلة المولد النبوي الشريف أعم نفعاً، فإن ثمرة العمل في ليلة القدر إنما يعود بالنفع على العامل فقط دون غيره، وليلة المولد النبوي الشريف عاد نفعها على كل الخلائق. وهذا ما أثبتناه فيما تقدم.

فإن قيل: ليلة القدر أنزل فيها القرآن إلى سماء الدنيا، ونجم نزوله بعد على النبي ﷺ بحسب الوقائع وتقرير الأحكام، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[1]. فوجب تفضيلها على غيرها[2].

والجواب: أما كلام الله تعالى القديم، فلا يوصف بالنزول، ولا يوصف بالاستقرار، وإنما المستقر الألواح المشتملة على الألفاظ الدالة على المعنى القديم، الذي نزل به الروح على سيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وقد نزلت مفصلة على النبي ﷺ واستقرت بين دفتي المصحف الشريف، متلوة لنا، ولله الفضل والمنة، فكانت ليلة المولد المكرَّم أشرف.

فإن قيل: ليلة القدر شرفت باعتبارات منها: أنها في رمضان، ومنها نزول القرآن فيها إلى سماء الدنيا كما تقرر، ومنها تنزل الملائكة عليهم السلام إلى الأرض للسلام على أهل الإيمان.

والجواب: كل هذه الخصائص من خصائص النبي ﷺ فهو أصل المواهب وسبب الخيرات والعجائب.

---

(١) سورة القدر ، الآية: ١ .

(٢) أبو العزائم، عز الدين: الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء، ص: ٧٨ - ٧٩ .

وإن قيل: ليلة القدر تتنزل الملائكة فيها للسلام على كل مؤمن ومؤمنة حسبما جاء في بعض الأخبار، وهذه مزية عظيمة لا خفاء فيها، وخصوصية كبيرة لا تحصل في ليلة المولد فكانت أشرف.

والجواب: الثابت من ذلك كله ما نص عليه الكتاب في محكم الذكر، وهو نزول الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي، وما جاء من الاختلاف في السلام هل هو معنى التحية والسلام أو غير ذلك ؟ وأما ما ذكر من غير ذلك مما أورده المفسرون وغيرهم من تنزلهم على صور مختلفة، وبألوية مختلفة مذكورة في مواضيع، تحية مخصوصة فليست أحاديثها بالمعتمد الصحيح كما سبق، ولم يبق إلا نزولهم عليهم السلام ليلة القدر، وذلك مما لا ينبغي نزول الملائكة ليلة المولد مثل ذلك، والله أعلم، وأيضاً فإن اختصاص ليلة القدر بتنزل الملائكة عليهم السلام، هو لسلامهم على القائمين بها، العاملين عليها، كما جاء ذلك صريحاً في الأخبار المشار إليها، وذلك لا يوجب أفضلية ليلة القدر على ليلة المولد، إذا لا يمتنع اختصاص مفضول بخاصية، لا توجد في الأفضل، كما في كثير من الأزمنة، والأمكنة والأعمال، يوم الجمعة ويوم عرفة وليلة العيد[1].

وإن قيل: قد جاء: "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة". وهو ثابت في الصحيح، يدل على أن يوم الجمعة أفضل الأزمان، فيفضل ليلة المولد.

والجواب: سوف نوضح ذلك من وجوه:

الأول: إن الكلام في الليلة لا في اليوم، ولا يلزم من كونه أفضل الأيام أن يكون أفضل الليالي[2].

الثاني: إن موجب أفضلية يوم الجمعة هي ولادة آدم عليه السلام فيه، وقبول

---

(١) أبو العزائم، عز الدين: الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء، ص: ٧٩ – ٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص: ٨١ – ٨٢.

توبته، وهبوطه إلى الأرض، وقيام الساعة فيه، فالمراد بالخيرية وجود هذه الأشياء ووقوعها فيه وإنها لم توجد فيها، وأنت إذا نظرت إلى هذه الأمور، وخيرتها وجدت نور رسول الله ﷺ فائضاً عليها، فهو سر وجود آدم، وبالتوسل به إلى ربه قبلت توبته، وقيام الساعة رحمة لهم، لئلا يطول مقامهم ولبثهم تحت الأرض، حسبما جاءت به الأخبار الثابتة المأثورة عنه ﷺ.

الثالث: أنه العيد الذي اختصت به الأمة المحمدية ألا وهو يوم الجمعة، كاختصاص اليهود بالسبت، والنصارى بالأحد، فهو من المواهب والرغائب التي منحها رسول الله ﷺ، فيعود من القول فيه ما قدمناه في ليلة القدر، واندفع السؤال وإن كان غير وارد.

وما دام الحديث عن ليلة القدر وليلة المولد النبوي الشريف وكذلك يوم الجمعة فإن الحديث يتطرق بنا إلى يوم عرفة. فقد جاء فيه ما روي في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أحقر، ولا أوخر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وذلك بما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام».

وهذا الحديث بكماله دل على أنه أفضل الأزمان فيكون أفضل من ليلة المولد النبوي الشريف.

والجواب عن هذا من وجهين:

الأول: ما تقدم جواباً، أن الكلام في الليلة لا في اليوم.

الثاني: أن هذا اليوم من المواهب والرغائب المنعم عليه ﷺ وعلى أمته.

الفصل السابع
ليلة النصف من شعبان
وليلة القدر من رمضان

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾[1].

قوله تعالى: إنا أنزلناه: أي الكتاب المبين. في ليلة مباركة: أي كثيرة الخير وكبيرة القدر.

قال الجمهور: هي ليلة النصف من شعبان. وقال قتادة: هي ليلة القدر إذ أنزل الله القرآن في ليلة من أم الكتاب إلى السماء الدنيا ثم أنزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ نجوماً في عشرين سنة.

وذكر نحوه السيوطي في الدر عن ابن عباس وسعيد بن جبير والنخعي.

وقال البيضاوي أي في ليلة القدر أو البراءة ابتدئ فيها إنزاله وبركتها لذلك فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية أو لما فيها من نزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل القضية.

وقال صاحب الكشاف: ليلة النصف من شعبان لها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصك، وليلة الرحمة.

وقيل في تسميتها بليلة البراءة والصك أن البندار وهو بضم الموّحدة وسكون النون من في يده أصل الخراج وهو القانون إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة. كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة.

وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة.

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٣.

كما قيل هي مختصة بخمس خصال: تفريق كل أمر حكيم، وفضيلة العبادة، ونزول الرحمة، وتمام الشفاعة وذلك أنه ﷺ سأله ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها ثم سأله ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين ثم سأله ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع إلا من شرد على الله شراد البعير، ومن عاده الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة.

ويقال هنا: فيؤخذ منه أنه ينبغي شربه شربة باهرة.

ولبيان ذلك أنه يستحب شرب ماء زمزم كثيراً ليلة النصف من شعبان.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[1]. استئناف بين المقتضى للإنزال وخص الإنذار لكونه أهم في أول الأحوال أو هو من باب الاكتفاء بأضداد الأشياء على طريق ·سرابيل تقيكم الحرّ والبرد..

وقوله تعالى:﴿ فِيهَا يُفْرَقُ ﴾[2]. أي يفصل ويبين كل أمر حكيم أي محكم أو ملتبس بالحكمة. والظاهر أن الجملة صفة ليلة مباركة وما بينهما جملة معترضة[3].

وهو يدل كما قال البيضاوي على أن الليلة ليلة القدر لأن ما ذكر هو عين صفتها لقوله تعالى:﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[4].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما يكتب في أم الكتاب. يعني اللوح ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى يقال يحج فلان ويحج فلان.

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٣.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٤.

(٣) علي القاري: التبيان في ليلة النصف من شعبان وليلة القدر من رمضان (وزارة الأوقاف: إدارة الشئون الدينية بالغربية، مكتبة المسجد الأحمدي، الرقم العام ٧١٣، والرقم الخاص ٢١٦، من ضمن مكتبة القصبي مجموع خمسون رسالة).

(٤) سورة القدر، الآية: ٤.

وقال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة.

وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص فيهم أحد.

ولقد أسند البغوي إلى النبي ﷺ أنه قال: تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد أخرجه اسمه في الموتى.

قاله السيوطي وأخرجه زنجويه والديلمي عن أبي هريرة.

وهنا يقول صاحب . التبيان في ليلة النصف من شعبان وليلة القدر من رمضان .: ولعل وجه الجمع بين القولين ما روى أبو الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس عند قولـــه تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[١]. قال أمر السنة إلى السنة إلا الشقاوة والسعادة فإنه في كتاب الله لا يبدل ولا يغير.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[٢]. استئناف بيـــان متضمن لتعليل وبرهان.

وقال البيضاوي هو بدل من إنا كنا منذرين. أي إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل الرحمة عليهم.

فتبين أن المفعول محذوف ورحمة منصوب على العلة. ويجوز أن يكون رحمة مفعول به. أي يفصل فيها كل أمر من عندنا لأن من شأننا أن نرسل رحمتنا فإن فصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها وصدور الأمور الإلهية

---

(١) سورة الدخان ، الآية: ٤ .

(٢) سورة الدخان ، الآيتان: ٥- ٦ .

من باب الرحمة.

وقال البغوي: إنا كنا مرسلين محمداً ﷺ ومن قبله من الأنبياء رحمة من ربك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما أي رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم ببعثتي.

وقال الزجاج إنا أرسلناه في ليلة مباركة للرحمة إنه هو السميع العليم أي يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم في المعاش والمعاد أو يسمع مناجاتهم ويعلم حاجاتهم.

هذا وفي الدر المنثور في التفسير المأثور للحافظ جلال الدين السيوطي أخرج الخطيب وابن النجار عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم شعبان كله حتى يصله برمضان ولم يكن يصوم شهراً تاماً إلا شعبان فقلت يا رسول الله إن شعبان لمن أحب الشهور إليك أن تصومه فقال نعم يا عائشة إنه ليس نفس أن تموت في سنة إلا كتب أجلها في شعبان فأحب أن يكتب أجلي وأنا في عبادة ربي وعمل صالح.

فهذا الحديث دليل على أن الكتابة قد تستوعب في جميع أيام شعبان والأخبار والآثار الواردة ظاهرة في أنه مختص بليلة النصف ولعلها زمان كتابة الأكثر ثم صيام النهار مورث للبركة في الليلة.

وأخرج ابن ماجة والبيهقي في شعب الإيمان عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلتها وصوموا نهارها فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فاغفر له ألا من مسترزق فأرزقه ألا من مبتلي فأعافيه ألا من سائل فأعطيه ألا كذا حتى يطلع الفجر.

وأخرج ابن أبي شيبة والترمذي وابن ماجه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: فقدت النبي ﷺ ذات ليلة فخرجت أطلبه فإذا هو بالبقيع رافعاً رأسه إلى السماء فقال يا عائشة أكنت تخافين أن يخيف الله عليك ورسوله. قلت وما بي من ذلك ولكني ظننت أنك أتيت بعض نسائك. فقال إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب[١].

وأخرج البيهقي عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه عن عمه عن جده أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ينزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل شئ إلا رجل مشرك أو من في قلبه شحناء[٢].

واعلم أن نزول الرب سبحانه وتعالى من المتشابهات ومذهب السلف التنزيه والتفويض في مثل هذه الكلمات ومذهب الخلف زيادة على ذلك تجويز التأويل بأن المراد بالنزول نزول الرحمة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[٣].

ويشير إليه نفس الحديث لأن المعطيات المذكورة كلها من أثر الرحمة المسطورة أو أن سبحانه وتعالى تنزل معنوي أو تجل صوري كما يليق بذاته

---

(١) قاله ابن النجيم. وفي المندوبات إحياء ليلة النصف من شعبان كما وردت به الأحاديث والمراد بالإحياء قيامه. وظاهره الاستيعاب. ويجوز أنه يراد غاليه.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فقال هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ولكن فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم بني كلب (رواه البيهقي كما في الدر).

(٢) إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه ذنوبهم. وفيه شمول للكبائر إلا الشرك بالله، يعني كافراً أو مشاحن أو معاد. قال الطيبي لعل المراد بالبغضاء التي تبين المؤمنين من قبل نفوسهم الأمارة (رواه ابن ماجه عن أبي موسى).

(٣) سورة الدخان ، الآية: ٦ .

وينبغي لصفاته منزهاً عن صفات المحدثات وسمات المخلوقات فلا حلول ولا نزول وإلحاد ولا اتحاد تعالى شأنه وتعاظم برهانه.

وقد يقال: المراد بالنزول نزول ملائكته المقربين لإنزال الرحمة أو لنداء أهل القربة كما يدل عليه ما أخرجه البيهقي عن عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ قال: إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه فلا يسأل أحد إلا أعطي إلا زانية بفرجها أو مشرك[1].

كما قيل: المراد بالنزول إطلاع خاص يعبر عنه بالقرب الإلهي لعبيده إلا أرباب الملاهي وأصحاب المناهي.

كما أخرج البيهقي عن معـــاذ بن جبل وابن ماجــه عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: يطلع الله في ليلة النصف من شعبان لجميع خلقه فيغفر لجميع خلقه إلا مشرك أو مشاحن.

وأخرج البيهقي عن أبي ثعلبه الخشني عن النبي ﷺ قال: إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه.

وأخرج البيهقي عن عائشة قالت قام رسول الله ﷺ من الليل يصلي فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال يا عائشة أو يا حميراء أظننت أن النبي قد خاس بك أي غدر. قلت: لا والله يا رسول الله ولكني ظننت أنك قبضت لطول سجودك. فقال : أتدرين أي ليلـــة هــذه. قلت الله ورسولـــه أعلم. قال: هذه ليلة النصف من شعبان إن الله عز

---

(١) من أراد أن يقف على حقيقة ما ذكرناه فليراجع مؤلفنا: الله في العقيدة الإسلامية (البحيرة، كفر الدوار: دار فجر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م) المبحث الخاص: أسماء الله تعالى وصفاته.

وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم.

وعن النبي ﷺ أنه قال لعائشة رضي الله عنها: هل تدرين خطاب ما في هذه الليلة. يعني ليلة النصف من شعبان، قالت: ما فيها يا رسول الله. قال: فيها يكتب على بناء المجهول كل مولود من بني آدم في هذه السنة ظرف لمولود فيها. وفي تلك الليلة يكتب كل هالك من بني آدم في هذه السنة.

قال عطاء: إذا كانت ليلة النصف من شعبان رفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض ما في هذه الصحيفة[١].

وفيها ترفع أعمالهم إلى أن تكتب الأعمال الصالحة التي ترفع في تلك السنة يوماً فيوماً.

ولقد جاء في شرح المطالع في هذه الليلة تنزل أرزاقهم. أي تكتب الأرزاق التي تنزل في تلك السنة[٢].

وأخرج البيهقي وضعفه عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ فوضع عنه ثوبه ثم لم يستتم أن قام فلبسهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنه يأتي بعض صويحباتي فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع بقيع الفرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء فقلت بأبي أنت وأمي أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا فانصرفت فدخلت حجرتي ولي نَفَس عال فلحقني رسول الله ﷺ فقال ما هذا النَفَس يا عائشة فقلت بأبي أنت وأمي أتيتني فوضعت عنك ثويبك ثم لم تستتم إلى أن قمت فلبستها فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع. فقال: يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله بل أتاني جبريل عليه السلام فقال هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار

(١) رواه ابن أبي دنيا. (٢) رواه البيهقي في الدعوات.

بعدد شعر غنم بني كلب لا ينظر الله فيها لمشرك ولا إلى مشاحن ولا إلى قاطع رحم ولا إلى مسبل ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر. فقالت: ثم وضع عنه ثوبه فقال لي يا عائشة تأذنين لي في القيام هذه الليلة. فقلت نعم بأبي وأمي فقام فسجد ليلاً طويلاً حتى ظننت أنه قبض فقمت ألتمسه ووضعت يدي على باطن قدميه فتحرك وسمعته يقول في سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك. فلما أصبح الصبح ذكرتهن له فقال يا عائشة تعلمتهن فقلت نعم فقال تعلّميهن وعلميهن فإن جبريل عليه السلام علميهن وأمرني أن أرددهن في السجود.

ففي الحديث دلالة على استحباب زيارة القبور في ليلة النصف من شعبان والاستغفار للأقارب والإخوان والأقران وعموم أهل الإيمان وعلى إتيان الصلاة النافلة وإطالة السجود فيها وقراءة الدعاء المذكور.

وكذا المسطور في الحديث الآتي في حالة السجود وعلى التوبة من الذنوب وعلى الصلح مع من يكون بينه وبينه شحناء.

ولقد أسلفنا في ماضي قولنا ما يدل على استحباب إحيـاء تلك الليلـة وصيام نهارها.

وأخرج البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي وكان رسول الله ﷺ عندي فلما كان في جوف الليل فقدته فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة فتلفعت بمرطي فطلبته في حجر نسائه فلم أجده فانصرفت فإذا أنا به كالثوب الساقط وهو يقول في سجوده: سجد لك خيالي وسوادي وآمن بك فؤادي فهـذه يداي وما جنيت بها على نفسي يا عظيم يرجى لك كل عظيم يا عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه وعاد ساجداً فقال: أعوذ برضاك من

سخطك وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ بك منك أنت كما أثنيت على نفسك.
أقول كما قال أخي داود أعفو وجهي في التراب لسيدي وحق له أن يسجد ثم رفع رأسه فقال اللهم ارزقني قلباً تقياً من الشر نقياً لا جافياً ولا شقياً ثم انصرف فدخل معي في الخميلة ولي نَفَس. فقال ما هذه النَفَس يا حميراء فأخبرته فطفق يمسح بيده على ركبتي ويقول سر هاتين الركبتين ما لقينا في هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ينزل الله فيها إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده إلا لمشرك أو مشاحن.

وأخرج البيهقي عن علي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ ليلة النصف من شعبان قام فصلى أربع عشرة ركعة ثم جلس بعد الفراغ فقرأ بأم القرآن أربع عشرة مرة وقل هو الله أحد أربع عشرة مرة وقل أعوذ برب الفلق أربع عشرة مرة وقل أعوذ برب الناس أربع عشرة مرة وآية الكرسي مرة ولقد جاءكم رسول من أنفسكم. فلما فرغ من صلاته سألته عما رأيته من صنيعة قال من صنع مثل الذي رأيت كان له عشرين حجة مبرورة وصيام عشرين سنة مقبولة فإن أصبح في ذلك اليوم صائماً كان له كصيام سنتين ماضية وسنة مقبلة[1].

وكان من دعاء الرسول ﷺ في ليلة النصف من شعبان أنه كان يقول:

---

(١) قال البيهقيّ يشبه أن يكون هذا الحديث موضوعاً وهو منكر. وفي رواية مجهولون قلت جهالة بعض الرواة لا تقتضي كون الحديث موضوعاً وكذا إنكاره الألفاظ فينبغي أن يحكم عليه بأنه ضعيف ثم يعمل بالضعيف في فضائل الأعمال إتفاقاً مع نفس الصلاة النافلة في تلك الليلة ثابت عنه صلى الله عليه وسلم بطريقة صحيحة فلا يظهر ضعف بيان الكمية والكيفية فإن الصلاة خير موضوع وأحسن مشروع عند كل مقبول ومطبوع. وبهذا تبين جواز ما يفعله الناس في بلاد ما وراء النهر وخرسان والروم والقدس والهند وغيرها من مائة ركعة كل ركعة فيها سورة الإخلاص عشر مرات على ما ذكره صاحب القوت والإملم الغزالي في الإحياء وغيرهما فإنه وإن لم يصح وروده عنه عليه السلام لكن لا مانع من فعله ولو على وجه الدوام نعم اعتقاد كونه سنه غير صحيح عند العلماء وكذا أداؤه جماعة مكروه.

اللهم إن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا وإن كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء فإنك تمحو ما تشاء وعندك أم الكتاب.

وقال السيد معين الدين الصفوي في تفسيره عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾[1]. فعن ابن عباس وغيره يمحو ما يشاء إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت.

وعن كثير من السلف كعمر بن الخطاب وابن مسعود وغيرهما أنهم كانوا يدعون بهذا الدعاء: اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فأمحه واكتبنا سعداء فأثبتنا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب[2].

وقد قيل: يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما يقتضيه حكمته. وقيل: يمحو من كتاب الحفظة مالا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتاً أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه. وقيل: يمحو قرناً ويثبت آخرين. وقيل: يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات.

ويثبت بالتشديد وعنده أم الكتاب أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه.

وقد أخرج الترمذي في جامعه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم والدخان في ليله أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك».

وفي رواية الحسن غفر له ما تقدم من ذنبه ثم سورة الدخان مكيــة وأما

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٢) قد نقل هذا الحديث قراءته في ليلة النصف من شعبان لكن الحديث ليس بقوي.

وقد قيل: يجوز العمل بالحديث الضعيف لاسيما وقد ثبت روايته عن أكابر الصحابة مطلقاً فلا وجه لمنع المفيد أبداً ثم التحقيق أن المحو والإثبات إنما يتعلقان بالأمور المتعلقة كما ذكره المحققون في قوله تعالى: «وما يعجز من معمر». وفي حديث البر يزيد في العمر والدعاء يدفع البلاء. وما يستحب أن يقرأ في تلك الليلة سورة «الدخان».

سورة القدر فمدنية خلافية.

بسم الله الرحمن الرحيم. إنا: أي بعظمة قدرنا. أنزلناه: أي القرآن الجليل القدر ويعرف بهما قدر المنزل عليه بل والمنزل إليهم أيضاً، وهو كناية عن غير مذكور في التبيان لأن ظهور الشأن غني عن البيان في ليلة القدر. أي أنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فوضعه في بيت العزة ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجوماً في عشرين سنة.

وإنما سميت ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة لقوله تعالى:

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[1].

وهو مصدر قولهم قدر الله بالشيء مخففا قدراً وقدراً كالنهر والنهر والشَعر وقدره بالتشديد تقديراً بمعنى واحد.

وعن مجاهد أنها ليلة الحكم أي مكثرة الأحكام الإلهية فيها. أو للحكم الخاص المتعلق بها من زيادة فضيلة العبادة واختصاصها بهذه الأمة كما صرح به بعض أرباب الرواية والدراية.

وأخرج الديلمي عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله وهب لأمتي ليلة القدر لم يعطها من كان قبلهم.

قيل للحسين بن الفضل أما قدّر الله المقادير قبل خلق السموات والأرض قال نعم. قيل: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر.

وهنا يقول صاحب: التبيان في ليلة النصف من شعبان وليلة القدر من رمضان: والتحقيق أن الله سبحانه وتعالى قدر المقدورات قبل خلق الموجودات على وفق ما تعلق علمه بالمكونات ويعبر عن علمه سبحانه

---

(1) سورة الدخان، الآية: ٤ .

وتعالى بأم الكتاب الذي لا يتغير ولا يتبدل في كل باب ثم خلق القلم الملحوظ واللوح المحفوظ وأمر القلم أن يكتب ما كان وما يكون من قرطاس النور في رواة النون فكتب كل أمر أطلعه إياه ثم جف القلم بما هو كائن على وفق علم الله وغايته أنه كتب فيه بعض الأشياء مجملاً وبعضها مفصلاً وبعضها مطلقاً وبعضها معلقاً فبهذا الاعتبار يجوز الزيادة والمحو بالنسبة إلى المنقوش في اللوح، ولذا قال تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1].

ثم إنه سبحانه وتعالى يأمر بكتابة نسخة سنوية مطابقة لما في اللوح المحفوظ مما يحدث في السنة من أولها إلى آخرها في ليلة القدر.

كما أنه يكتب عند نفخ الروح في كل ولد من أولاد بني آدم من رزقه وأجله وعلمه وشقي وسعيد، فهذا كله جزئيات مما في اللوح المحفوظ.

كما أنه جزئي من علم الله المحيط بالكليات والجزئيات والموجودات والمعدومات. ثم يكتب الكرام الكاتبون أعمال العباد لجزاء يوم المعاد فيقال بل كتابتهم بما في اللوح المحفوظ فلا زيادة ولا نقصان فسبحان من دبر أمر العباد على وفق ما أراد.

وهذا من جملة أسرار القدر والقضاء مما ضل وغوى فيها الجهلاء وتحير فيها العقلاء ولم يتخلّص عنه العلماء.

قال تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[2].

هذا وقد قال الأزهري معناه في ليلة العظمة والشرف من قول الناس لفلان عند الأمير قدر أي جاه ومنزلة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[3].

أي وما عظموه حق تعظيمه.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

وقيل: إن العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولاً.

وقال سهل: ليلة قدرت فيها الرحمة على العباد. أي إلا المصر على العناد والفساد.

وقيل: المعنى أنزلنا القرآن في ليلة فضل ليلة القدر.

وقال البيضاوي: الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح.

كما عظمه بأن أسند إليه إنزاله وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[1].

وتحقيق ما ذكره القاضي في سورة - الحاقة - أي وأي شئ أعلمك ما هي. أي أنك لا تعلم كنهها فإنها أعظم من أن يبلغها دراية أحد. وما: مبتدأ. وأدراك: خبره.

قال تعالى: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾[2].

قال عطاء عن ابن عباس ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل أنه حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله ﷺ وتمنى ذلك لأمته.

فقال يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً فأعطاه الله ليلة القدر. فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولأمتك يوم القيامة.

قال المفسرون معناها عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس في ليلة القدر.

وفي الدر أخرج الخطيب في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

---

(1) سورة القدر ، الآية: ٢ .

(2) سورة القدر ، الآية: ٣ .

رأى رسول الله ﷺ بني أمية على منبره فساءه ذلك فأوحى الله إليه أن هذا ملك يصيبونه فنزلت ·إنا أنزلناه في ليلة القدر··

وهنا يقول صاحب التبيان في ليلة النصف من شعبان وليلة القدر من رمضان: السبب قد يتعدد فلا إشكال والله أعلم بالحال·

وقد أخرج مالك في: الموطأ، والبيهقي في: الشعب عن أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أري أعمال الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر·

وقد قيل: فيه إشارة إلى أن المدار على بركة العمر فكم من طويل العمر أضاع أوقاته وبطل ساعاته وكم من قصير العمر بورك له فيه من العلم والعمل والمعرفة والآداب ما تحير فيه ألوا الألباب بسبب إمداد رب الأرباب ثم فيه تنبيه نبيه على أن الله يفضل بعض الأزمنة على بعضها من ليلة القدر وساعة الجمعة. كما أن له أن يفضل بعض الأمكنة كأرض الحرم وخصوص المسجد والكعبة. فكذلك يفضل الله سبحانه وتعالى بعض عباده بمحض فضله كما فضل نبينا ﷺ على سائر الخلق وكما فضل هذه الأمة على سائر الأمم والله أعلم·

وقال البغوي: أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري إملاء يعني صاحب الرسالة بسنده المتصل إلى أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه[١]·

وقال سعيد بن المسيب: من شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر·

وصح عن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ لو وافيت ليلة القدر فما

---

(١) أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة·

أقول؟ قال: قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

وفي قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾[1].

تنزل الملائكة والروح: أي جبريل عليه السلام معهم فيها. أي في ليلة القـــدر بإذن ربهم. أي بأمره لأنهـم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلـــون ما يأمرون.

كما قال البيضاوي: والجملة بيان لما له فضلت على ألف شهر وتنزلهم إلى الأرض أو السماء الدنيا أو بقربهم من المؤمنين.

وفي قوله تعالى «بإذن ربهم» . والمقصود أن من تعليلية بمعنى الباء السببية. سلام هي. أي ما هي إلا السلامة. والمعنى لا يقدر الله فيها إلا السلامة. ويقضي في غيرها السلامة والبلاء. وهو قول الضحاك.

ويوضحه قول مجاهد يعني أن ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً ولا أن يحدث فيها أذى. أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين. وهو قول الجمهور.

وقال عطاء: يريد سلامه على أولياء الله وأهل طاعته.

وقال الحسن كما أخرجه ابن المنذر عنه في قوله تعالى «سلام» إذا كان ليلة القدر لم تزل الملائكة تخفق بأجنحتها بالسلام من الله والرحمة من لدن من صلاة المغرب إلى طلوع الفجر.

---

(١) سورة القدر ، الآية: ٤ .



الفصل الثامن
رؤيـا ليلة القدر وعلاماتها

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن أناساً أروا ليلة القدر في السبع الأواخر ـ أي من رمضان ـ وإن أناساً أروا أنها في العشر الأواخر[1].

فقال النبي ﷺ: التمسوها في السبع الأواخر.

وفي رواية: أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحرّيها فليتحرّها في السبع الأواخر[2].

وتواطأت: معناها توافقت، والتواطؤ: معناه التوافق.

والتحرّي: القصد وطلب الشيء بجد واجتهاد.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه قال: اعتكف رسول الله ﷺ في العشر الأول من رمضان، واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك. فاعتكف العشر الأوسط، فاعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: الذي تطلب أمامك. ثم قام النبي ﷺ خطيباً صبحة عشرين من رمضان فقال: من كان اعتكف معي، فليرجع فإني رأيت ليلة القدر، وأني أنسيتها، وإنها في العشر الأواخر، في وتر، وإني رأيت كأني أسجد في طين وماء.

وكان سقف المسجد جريداً من النخل، وما نرى في السماء شيئاً، فجاءت قزعة ـ أي قطعة من السحاب رقيقة ـ فمطرنا.

فصلى بنا النبي ﷺ، حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه.

---

(١) أحمد عز الدين البيانوني: الرؤى والأحلام (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص: ١٢٣.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وفي لفظ: من صبح إحدى وعشرين[1].

وقد قيل: ليلة القدر: القدر هو الشرف وليلته هي التي نزل فيها القرآن الكريم على النبي ﷺ فكانت شرفاً له ولمن تبعه[2].

ومن علاماتها ما روي عن الحسن أنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها.

وأخرج أحمد وابن زنجوية ومحمد بن منصور وابن مردويه والبيهقي عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال التمسوها في العشر الأواخر من رمضان فإنها في وتر ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو آخر ليلة من رمضان من قامها احتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

ومن أمارتها أنها ليلة بلجة صافية ساجية. أي ساكنة لا حارة ولا باردة يكون فيها القمر ساطعاً ولا يحل لنجم أن يرمى به في تلك الليلة حتى الصباح.

ومن أمارتها أن الشمس تطلع صبيحتها مستوية لا شعاع لها كأنها القمر ليلة البدر حزم الله على الشيطان أن يخرج معها يومئذ.

وروى الطبراني عن واثلة مرفوعاً ليلة القدر ليلة بلجة لا حارة ولا باردة ولا سحاب فيها ولا مطر ولا ريح ولا يرمى فيها بنجم.

ومن علامة يومها تطلع الشمس لا شعاع لها.

وفي رواية الطيالسي عن ابن عباس تصبح الشمس صبيحتها ضعيفة حمراء.

---

(١) رواه البخاري مسلم.

(٢) محمود شكري: شرح وتفسير كلمات القرآن (القاهرة: دار التراث الإسلامي، سنة ١٩٨٥م) ص: ٤١٩.

وروى الطبراني أنها ليلة ريح ومطر ورعد والجمع بأنها تارة كذا وتارة كذا أو أول ليلة بصفة وآخرها بأخرى والله أعلم.

وقال البغوي: ففي الجملة أبهم الله تعالى هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعاً في إدراكها كما أخفى ساعة الاستجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، وأخفى اسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذراً من قيامها.

وقد قيل: من مات فقد قامت قيامته والموت إن لم يكن بغتة فمقدماته لا تكون إلا فجأة.

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ليلة القدر أنها آخر ليلة.

وأخرج محمد بن منصور عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: التمسوا ليلة القدر في آخر ليلة من رمضان.

وأخرج عبد الرازق وابن أبي شيبة عن أبي قلابة قال: ليلة القدر تتنقل في العشر الأواخر في كل وتر.



الفصل التاسع

دعاء ليلة القدر

في هذا الفصل من البحث ينبغي أن نوضح أن: خير ما يدعو به الإنسان لتفريج الكروب ولوفاء الديون وللنجاة من الخطوب ما ورد بالسند الصحيح عن رسول الله ﷺ من الأدعية علمها رسول الله ﷺ لأفراد من الصحابة كانوا في شدة وضيق ففرج الله كروبهم ووفي ديونهم وشرح صدورهم ويسر أمورهم.

- اللهم أغنني بحلالك عن حرامك، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شئ قدير، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطيهما من تشاء وتمنعهما ممن تشاء، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك، اللهم فارج الهم وكاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمني برحمة تغنيني بها عمن سواك، اللهم إني عبدك، ابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، عدل في حكمك، ماض في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي ونور بصري وانشراح صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي وشكايتي يا الله .(١).

وورد في الحديث أفضل الدعاء أن تسأل ربك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة فإنك إن أعطيتهما في الدنيا ثم أعطيتها في الآخرة فقد أفلحت. يعنى فزت وظفرت بسعادة الدارين.

---

(١) أبو العزائم، محمد ماضي: صيام أهل المدينة المنورة، ص: ٧١ .

وورد من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر.

وورد من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام شطر الليل، فإذا صلى الصبح في جماعة فكأنما قام شطره الآخر.

وينبغي لمن شق عليه طول القيام أن يتخير مما ورد في قراءته كثرة الثواب كآية الكرسي. فقد ورد أنها أفضل آية في القرآن الكريم، وكالثلاث أو الآيتين من آخر سورة البقرة فقد ورد من قام بهما كفتاه. وكسورة إذا زلزلت ورد أنها تعدل نصف القرآن، والكافرون تعدل ربع القرآن، والإخلاص تعدل ثلث القرآن، ويس لأنها قلب القرآن وإنها لما قرئت له من خير الدنيا والآخرة وقلبها سلام قولاً من رب رحيم، ويكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والصلاة والتسليم على النبي ﷺ لأن الصحيح أن ينتفع بذلك لكن لا ينبغي التصريح بذلك كما قيل:

وصححـــوا بأنه ينتفـــع   بذي الصلاة شأنه مرتفـــع

لكنه لا ينبغي التصريح   لنا بذي القول وذا صحيح

ويدعو بما أحب لنفسه ولأحبابه أحياءً وأمواتا لأنهم ينتفعون بذلك كما هو عقيدة أهل السنة والجماعة ويتصدق بما يتيسر له والأفضل أن يكون سراً كما ورد في الحديث أن صدقة السر تطفئ غضب الرب وأن صنائع المعروف تقي مصارع السوء وأن قول لا إله إلا الله تدفع عن قائلها تسعة وتسعين بلاء أدناها الهم.

ومن جملة فضائلها أنه قيل: إن كلمة التوحيد إذا قالها المؤمن ألف مرة في كل مرة تنفي عنه شيئاً لم تنفه المرة الأولى وهي أفضل الذكر كما قال النبي ﷺ . وهي دأب الناسكين وعمدة السالكين وعدة السائرين وتحفة السابقين ومفتاح الجنة ومفتاح العلوم والمعارف.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يفتح الله تعالى أبواب الجنة وينادي مناد من تحت العرش أيتها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن أنت. فتناد الجنة وكل ما فيها نحن لأهل لا إله إلا الله ولا نطلب إلا أهل لا إله إلا الله ولا يدخل علينا إلا أهل لا إله إلا الله ونحن محرمون على من لم يقل لا إله إلا الله. وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب لا يدخلني إلا من أنكر لا إله إلا الله ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله وأنا حرام على من قال لا إله إلا الله ولا امتلئ إلا ممن جحد لا إله إلا الله وليس غيظي وزفيري إلا على من أنكر لا إله إلا الله.

وقال ﷺ : أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه. ويحفظ الإنسان جوارحه من المعاصي هذا هو الإحياء الذي يغفر الله به ما تقدم من ذنبه.

وورد من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات كان كمن رأى ليلة القدر لأن الدعاء في هذه الليلة مستجاب.

وسئل سهل عن قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[1] فقال: هذه أعظم آية في كتاب الله تعالى، وفيها اسم الله الأعظم، وهو مكتوب بالنور الأخضر في السماء سطراً واحداً من المشرق إلى المغرب كنت رأيته كذلك في ليلة القدر[2].

وروي أحمد وابن ماجه والترمذي بسند صحيح عن عائشة قالت: . قلت: يا رسول الله: أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال: قولي: الهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني..

---

(١) عبد الحليم محمود: سهل التستري، ص: ٢٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية: ٢٥٥ .

ويدعو رسول الله ﷺ أمته أن تتحرى ليلة القدر في العشر الأواخر. عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: «تحرّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»[1].

وفي فضل ليلة القدر يقول ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أرأيت أن علمت أي ليلة ليلة القدر ماذا أقول فيها. قال عليه الصلاة والسلام قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عني.

فانظر إلى قدر ليلة القدر وإلى منزلة عائشة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ ولو كان غير هذه الكلمات خيراً لها لعلمها إياها.

ويستحب الإكثار من هذا الدعاء في تلك الليلة والاشتغال بقراءة القرآن وسائر الأذكار والدعوات. ولا يلتفت إلى ما أكب الناس عليه في هذا الزمان من النفل بالجماعة الكثيرة زيادة على التراويح في تلك الليلة فإنه بدعة قبيحة لأن الفقهاء اتفقوا على كراهية الجماعة في النوافل ماعدا التراويح والاستسقاء والكسوف إذا كان سوى الإمام أربعة.

وروي أن من قرأها في آخر الوضوء غفر الله تعالى ذنوب خمسين سنة.

وروي في ذلك آثار لابن عباس رضي الله عنهما بها فضائل.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحيا ليلة القدر وصلى فيها ركعتين واستغفر فيها ربه غفر الله له فخاض في رحمة الله تعالى ومسحه جبرائيل عليه السلام بجناحيه ومن مسحه جبرائيل عليه السلام دخل الجنة وكان جبرائيل شفيعاً له يوم القيامة».

---

(١) متفق عليه.

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحيى ليلة سبع وعشرين من رمضان إلى الصبح فهو أحب إليّ من قيام رمضان كلها».

قالت فاطمة رضي الله عنها يا أبت ما يصنع الضعفاء الذين لا يقدرون على القيام. قال يا فاطمة والذي بعثني بالحق ما من رجل ولا امرأة يضعف عن القيام بتلك الليلة ثم على الوسادة فيتكئ ويقعد ساعة من ساعات تلك الليلة ويدعو الله تعالى وإلا لكان ذلك أحب إليّ من جميع من يقومون لشهر رمضان كلها وقد فاتهم تلك الليلة.

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ذاكر الله في رمضان مغفور له وسائل الله فيه لا يخيب.

وقد قيل: نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت أمتي خمس خصال في شهر رمضان لم يعطهن أمة قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله كل يوم جنته حتى ثم يقول يوشك عبادي الصالحون بلغ أن يلقوا عنهم المؤنة ويصيروا إليك، وتصفد مردة الشياطين فلا يخلون إلا ما كان يخلون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة. قيل يا رسول الله هي ليلة القدر. فالعامل يوافي أجره إذا قضى عمله.

وعن ابن عباس وعكاشة رضي الله عنهما قالا: كان رسول الله ﷺ إذا دخل رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل.

وعن كعب قال الله تعالى يا موسى بن عمران إني آمر حملة عرشي أن يمسكوا عن العبادة إذا دخل شهر رمضان وأن يقولوا كلما دعا صائم رمضان أمين فإني أكتب على نفسي أن لا أرد دعوة صائم في رمضان.

وأخرج محمد بن منصور عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من قرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر عدلت بربع القرآن.

قلت: فينبغي أن يقرأها أربع مرات ليحصل ثواب ختمه كاملة.

وأما ما ذكره القاضي عن النبي ﷺ: من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيى ليلة القدر.

ولقد ذكر السيوطي رحمه الله في - الجامع الكبير - عن أبي جعفر بن علي ابن أبي طالب قال كان رسول الله ﷺ إذا استهل هلال شهر رمضان استقبله بوجهه ثم يقول: اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والسلام والعافية المجللة ودفاع الأسقام والعون على الصلاة والصيام وتلاوة القرآن والقيام. اللهم سلمنا رمضان وسلمه لنا حتى يخرج رمضان وقد غفرت لنا ورحمتنا وعفوت عنا. ثم يقبل على الناس بوجهه فيقول أيها الناس إنه إذا أهل هلال رمضان غلت فيه مردة الشياطين وغلقت أبواب جهنم وفتحت أبواب الرحمة ونادى منادٍ من السماء كل ليلة هل من سائل هل من تائب هل من مستغفر. اللهم أعط كل منفق خلفاً وكل ممسك تلفاً حتى إذا كان يوم الفطر نادى مناد من السماء هذا يوم الجائزة فاغدوا فخذوا جوائزكم.

قال محمد بن علي لا تشبه جوائز الأمراء[1].

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخه.

خاتمة ونتائج عامة

والآن وبعد أن فرغنا من دراستنا لموضوع:

" ليلـــة القـــدر ".

وما ينطوي عليه هذا الموضوع من معاني علينا أن نلم في هذه الخاتمة بأهم النتائج التي توصلنا إليها نلخصها في النقاط التالية:

أولاً: تدل آيات القرآن الصريحة على أن ليلة القدر إحدى ليالي رمضان، لأن الله تعالى بدء فيها نزول القرآن ومعلوم أنه ابتداء نزوله في رمضان فيتعين أن يكون ليلة القدر إحدى لياليه، ومن المعلوم حقيقة أنه لا يوجد في القرآن نصاً بتعيينها، وما ورد في تعيينها من الروايات في الأحاديث مختلف اختلافاً كثيراً، ولعل الله تعالى أبهمها لحكمة جليلة، لينشط الناس في عبادته والتقرب إليه كل ليالي الشهر، رجاء أن يصادفوها ولا يتكاسلوا في طاعة الله إذ علموها على التعيين، وهذا هو الرأي الذي نعتمد عليه. ولقد أوضحت الدراسة الأحاديث الصحيحة التي تدل على ذلك.

وكل هذه الأحاديث تدل دلالة قاطعة على أن ليلة القدر إحدى ليالي رمضان. وأنها متنقلة في لياليـــه. وهذا ما أوضحناه في عرضنا السابق لفصول هذا البحث.

والمقصود بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ سورة القدر، الآية: ١.

أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فوضع في بيـــت العزة ثم نزل به جبريل مفرقـــاً في ثلاث وعشرين سنة أولـــه: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ سورة العلق، الآية: ١. وآخـــره قولـــه تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

ولقد قال ابن مسعود: ينبغي أن ينوي قيامها من أول ليلة المحرم إلى آخر السنة فيكون قد اصطادها قطعاً .

وقال النووي: ولا ينال فضلها إلا من أطلعه الله عليها .

وقد قيل: إن أحرف ليلة القدر تسعة تذكرها الله تعالى ثلاث مرات فتضرب ثلاث في تسع تبلغ سبعة وعشرين فدل على أنها في السابع والعشرين وبه قال ابن عباس أيضاً ولو وضح أن الله خلق السموات سبعاً، والأرض سبعاً والبحار سبعاً وخلقنا من سبع ورزقنا من سبع .

فليلة القدر ليلة نزل فيها القرآن ليلة تلقى محمد ﷺ أمر الرسالة، الرسالة الخاتمة لكل الرسالات المصححة لكل الأخطاء المهيمنة على كل الكتب السماوية المصدقة لرسالة كل رسول الباقية في كل زمان وفي كل جيل .

ولقد اختار الخالق سبحانه وتعالى من بين شهور السنة الاثني عشر رمضان ليكون هو الأيام المعدودات التي يزاول فيها الصوم ثم يبين لنا سبحانه وتعالى أنه اختار هذا الشهر ليظل يذكر المسلمين إلى الأبد أنه في هذا الشهر ليلة من لياليه نزل فيها القرآن الكريم .

ولقد أوضحت الدراسة أن ليلة القدر هي في الغالب ليلة السابع والعشرين من رمضان .

ثانياً: اختلف العلماء في ليلة القدر هل هي ليلة واحدة في الدهر كله أم هي متكررة في كل سنة والحق أنها ليلة مخصوصة شرفها الله بنزول القرآن فيها كما شرف بعض الأمكنة وبعض الليالي كبيت الله الحرام وبيت المقدس وليلة الجمعة وشهر رمضان .

وننبه القارئ إلى أن القدر بمعنى التقدير لما يبرز من العلم القديم لملك

أن تعبر عن القدر بمدلوله وهو العظمة والعلو، ولك أن تقول القدر هو الضيق كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾ سورة الفجر، الآية: ١٦.

والضيق هنا لنزول الملائكة بكثرة، فتضيق الأرض بهم فإنها بالنسبة إلى الشمس جزء من مليون تقريباً، فما بالك بالسموات السبع وما فيهن من الملائكة. ولا ينزلون دفعة واحدة ولكن طوائف طوائف. كما أن العالم الإسلامي من الحجاج يطوف كله بالبيت طائفة بعد طائفة ولو أرادوا الطواف جميعاً مرة واحدة لما وسعهم البيت.

وحكمة نزول الملائكة: تشريفهم بالمؤمنين، وتشريفهم المؤمنين.

وإذا كان التقدير للأيام والرجال بمقدار ما حملت الأيام من حدث وما قدمت الرجال من أعمال، فأي تقديس وذكرى وتخليد لليلة القدر وقد حملت في تضاعيفها إنزال القرآن الكريم وإرسال سيدنا محمد ﷺ رحمة للعالمين.

فكانت ليلة القدر صلة بين الأرض والسماء قامت لله فيها الحجة البالغة ببقاء القرآن الكريم الذي شرفت هذه الليلة بإنزال أول قطرة من غيثه ليكون لها ما بعدها من توالي إنزاله منجماً على حسب الحوادث إلى أن يتم بقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ سورة المائدة، الآية: ٣.

وحظيت بإرسال سيد الأولين والآخرين ومنقذ العالم وخاتم الرسل وسيدهم رسول الله ﷺ، فهي ليلة فاصلة فارقة بين الظلمات والنور. والحق والباطل. هي مبعث النور والعرفان، ومشرق الفلاح والهداية وفاتحة الخير والسعادة. وهي ليلة الدين الذي ارتضاه الله لعباده ورباهم عليه.

فحادث ليلة القدر أعظم حادث في تاريخ الوجود كله، ومن ثمة رفع الله شأنها وجعلها خيراً من ألف شهر تتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر.

وقد أمر الحق سبحانه وتعالى الرسول ﷺ بإحيائها بالذكر والطاعة وتلاوة القرآن ومدارسته شكراً لله تعالى على نعمته، ووعد من يقيمها بغفران ذنوبه.

فليلة القدر التي هي خير من الدهر كله بما حباها الله من فضل ورحمات ويمن وبركات ومنها نزول القرآن مقروناً بإرســال محمد عليــه الصلاة والسلام، فلو أنصفت الإنسانية لاتخذت من ليلة القدر عيداً إنسانياً عالمياً يتوجونه بأقدس ما تعارفوه من أكاليل المجد والفخار، ويخلدون ذكراه بأسمى ما تخلد به نعم الله الرحمن الرحيم.

وسميت ليلة القدر لعظم قدرها. وسموها مما أفاض الله على عباده فيها من أخلد النعم على جميع لحظات الزمان كله، فهي ليلة العظمة والشرف الرفيع وهي حافلة بنزول الملائكة من السماء والروح معهم بكل أمر فيه خير وأمن وسلام حتى مطلع الفجر.

فالسعيد كل السعد من تعرض فيها لرحمة الله بالإحياء.

إن الله سبحانه وتعالى أخبر في مفتتح سورة القدر والدخان أنه أنزل القرآن الكريم في الليلة التي سماها ليلة القدر، ووصفها بأنها مباركة، ومعلوم من تاريخ القرآن الكريم أنه أنزل على سيد المرسلين منجماً.

وقد سمي الله تعالى الليلة التي نزل فيها القرآن ليلة القدر، إما بمعنى التقدير، لأن الله تعالى ابتدأ فيها تقدير دينه، وتحديد الخطة لنبيه ﷺ في دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا عليه، أو بمعنى العظمة والشرف، من قولهم فلان له قدر. أي له شرف وعظمة، لأن الله تعالى قد أعلى فيها منزلة نبيه ﷺ.

وصفوة القول في معنى الآية: إنا بدأنا نزول القرآن على نبينا في الليلة التي قدرنا فيها ديننا ورسمنا الخطة لرسولنا في دعوة الناس إلى الهدى والحق، والتي أعلنا فيها قــدره وعظمناه وشرفناه بإرساله إلى الخلق داعيــاً وهادياً، وكانت هذه الليلة هي التي نزل فيها جبريل على النبي ﷺ في غار حراء بالآيات الخمس من أول سورة - اقرأ - إلى قوله تعالى ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ سورة الدخان، الآية: ٥.

لقد عظم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ليلة القدر، فعظمها بإنزال القرآن فيها وبأنها خير من ألف شهر، وبأن الملائكة تنزل إلى الأرض للسلام على المصلين فيها، ويبين أن هذا الفضل العظيم يدوم حتى مطلع الفجر.

ثالثاً : إن من يمعن النظر في الآيات القرآنية يمكنه أن يستنبط من ذلك أن تنزيل القرآن الكريم مر بمرحلتين:

المرحلة الأولى: نزوله دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العــزة في سماء الدنيا.

المرحلة الثانية: نزوله منجماً على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة خلال مدة بعثته ﷺ، موزعاً على الحوادث.

ولقد دلت آيات كثيرة في القرآن الكريم على نزوله منجماً استعرضتها هذه الدراسة بين صفحاتها.

إن القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ مفرقاً خلال مدة بعثته عليه الصلاة والسلام. ولقد أوضحت الدراسة الحكمة من نزول القرآن منجماً.

وقد قيل - إنا - [illegible] للعظمة أو للدلالة على الذات مع الصفات والأسماء. - أنزلناه - أي القرآن العظيم في ليلة القدر.

وسميت ليلة القدر بذلك لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام. وكذلك سميت ليلة القدر تعظيماً لها ولقدرها، لأن الله تعالى يقدر فيها ما يكون من أمر السنة إلى مثلها من العام المقبل.

وقوله تعالى ·ليلة القدر · أي ليلة العظمة والحكمة.

ولقد أوضحت هذه الدراسة قضية التفضيل بين ليلة الجمعة وليلة القدر والمقارنة بينهما.

وكذلك استعرضت هذه الدراسة قضية التفضيل بين ليلة المولد النبوي الشريف وليلة القدر وأوردت نصوص العلماء بشأن هذه الدراسة.

وأفردت وجوهاً لتفضيل ليلة المولد النبوي الشريف أنها أفضل من ليلة القدر. وكذلك الأدلة التي احتوتها هذه الدراسة بين صفحاتها والتي أوضحت أفضلية ليلة المولد النبوي الشريف على ليلة القدر.

ولا يغفل هذا البحث الحديث عن أوجه المقارنة بين ليلة النصف من شعبان وليلة القدر من رمضان. وكذلك رؤيا ليلة القدر ودعاء ليلة القدر.

تلك هي النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لموضوع:

" **ليلـــة القـــدر** ".

وأرجو أ ن أكون قد وفق فيما قدمت من فصول هذا البحث، وفيما قدمته من نتائج في إضافة جديدة حول هذا اللـــون من الدراسات الإسلاميـــة التي اصطبغت بصبغة شرعية.

كما أرجو أن يكون إسهاماً في هذا المجال وهو ما وضعناه نصب أعيننا منذ بداية هذا البحث.

والله نعم المستعان وعليه التكلان ،،،

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب السنة النبوية.

ثالثاً: المخطوطات:

علي القاري:

(١) التبيان في ليلة النصف من شعبان وليلة القدر من رمضان (وزارة الأوقاف، إدارة الثقافة الدينية بمحافظة الغربية: مكتبة مسجد الأحمدي، الرقم العام ٧١٣، الرقم الخاص ٢١٦، ضمن مكتبة القصبي مجموع خمسون رسالة).

(٢) تفسير سورة القدر (وزارة الأوقاف، إدارة الثقافة الدينية بمحافظة الغربية: مكتبة مسجد الأحمدي، الرقم العام ٧١٣، الرقم الخاص ٢١٦، ضمن مكتبة القصبي مجموع خمسون رسالة).

رابعاً: المصادر والمراجع:

(ابن):

ابن عطاء الله السكندري: (أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم):

(١) لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الغزالي (القاهرة: مكتبة القاهرة، الطبعة الأخيرة، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

(أبــو):

أبو العزائم: (عز الدين أحمد بن محمد ماضي):

(٢) الاحتفال بمولد الأنبياء والأولياء مشترع لا مبتدع (القاهرة: دار الكتاب الصوفي، سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

أبو العزائم: (محمد ماضي):

(٣) صيام أهل المدينة المنورة (القاهرة: دار المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

(ال):

الجيلاني: (عبد القادر):

(٤) الغنية لطالبي طريق الحق، جزءان (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، مطبعة الحلبي، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م).

الحرفيش:

(٥) الروض الفائق في المواعظ والرقائق (القاهرة: مكتبة الجمهورية العربية، بدون تاريخ).

(الألف):

أحمد عز الدين البيانوني:

(٦) الرؤى والأحلام (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

(السين):

سعد حسن الشقرا:

(العيــن):

عبد الحليم محمود:

(٨) سهل التستري (القاهرة: دار الشعب، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

عبد الرحمن الصفوري:

(٩) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، جزءان (القاهرة: دار الفتح، سنة ١٩٧٩م).

عبد العزيز المحمد السلمان:

(١٠) موارد الظمآن لدروس الزمان (الرياض: معهد الدعوة، الطبعة الثالثة عشرة، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

عبيد الضرير: (تقي الدين عبد الملك بن أبي المني):

(١١) نزهة الناظرين في الأخبار المروية عن الأنبياء والصالحين (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، مطبعة الحلبي، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).

(الميــم):

محمد متولي الشعراوي:

(١٢)معجزة القرآن (القاهرة: وزارة التربية والتعليم، قطاع شئون الكتب، سنة ١٩٩١م).

محمود شكري:

(١٣)شرح وتفسير كلمات القرآن (القاهرة: دار التراث الإسلامي، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

الفهرست





يعـــالج هـــذا الكتاب موضوعاً من موضوعات الدراسات الإسلامية تحت عنوان : " ليلة القدر "

وتأتي أهميته لتناوله :

* ليلة القدر إحدى ليالي رمضان .
* ليلة القدر وحكمة نزول الملائكة .
* نزول القرآن الكريم في ليلة القدر .
* فضائل ليلة القدر .
* قضية التفضيل بين ليلة الجمعة وليلة القدر .
* قضية التفضيل بين ليلة المولد النبوي الشريف وليلة القدر .
* ليلة النصف من شعبان وليلة القدر .
* رؤيا ليلة القدر .
* دعاء ليلة القدر .

يعـــد هـــذا الكـــتاب في جملته بما احتواه من معلومات قيمة ومـــتعددة إضافة جديدة للقارئ وللباحث في مجال الدراسات الإسلامية .

الناشـــــر